الدكتور محمد حسين الذهبي

أستاذ علوم القرآن والحديث

كلية الشريعة - جامعة الأزهر



الإسرائيليات في التفسير والحديث

الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الدكتور محمد حسين الذهبي
أستاذ علوم القرآن والحديث
كلية الشريعة - جامعة الأزهر

الإسرائيليات في التفسير والحديث

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الإسرائيليات فى التفسير والحديث

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ..

وبعد ...

فعلى حين فترة من الرسل ضل الناس فيها الطريق إلى الله ، أرسل الله نبيه محمداً ﷺ إلى الناس كافة ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فكان الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة لهذه الإنسانية السادرة في غيها ، المتخبطة فى ضلالها ، وكان لها الهادى الذى لا يضل ، فأخذ بيدها وسلك بها الطريق إلى الله ، وقادها إلى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة .

ولقد كان القرآن الكريم هو المعجزة التى أيَّد الله بها نبيه محمداً ﷺ ، والدستور الذى وضعه الله لعباده ، فقضى به على الضلالة ، وبدَّد به ظلمات الجهالة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّه نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى به اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

وفى القرآن قواعد عامة ، وأصول مجملة ، وآيات محكمات ، وأُخر متشابهات ، ولقد وكَّلَ الله لنبيه محمد ﷺ بيان ذلك لأمته حتى تكون على علم بكتاب ربها ، ودراية بما أرشد إليه من تشريعات وأحكام ، وفى هذا يقول الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) المائدة : ١٥ - ١٦ (٢) النحل : ٤٤

ومن هنا كانت منزلة السُنَّة من القرآن الكريم منزلة المُبَيِّن من المُبَيَّن ، وهى فى حقيقة أمرها وحى من الله يجب اتباعه ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

لذا كان القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الشريفة ، هما أساس الدين ودعامته ، وعليهما تقوم دعوة الإسلام ، ومنهما ينبثق الهدى والرشاد ، وتستمد البشرية سعادتها فى الدنيا والآخرة .

ولقد أدرك المسلمون أنه لا عز لهم إلا بتمسكهم بكتاب ربهم وسُنَّة نبيهم ، وأيقنوا بصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسُنَّتى » (٤) .

ومن أجل هذا عَنِىَ المسلمون بكتاب ربهم : كتابة ، وحفظاً ، وفهماً ، كما عنوا بسُنَّة نبيهم ﷺ ، فرعوها حق رعايتها وقاموا على حفظها وتدوينها ، وقَعَّدوا لها القواعد التى تبين صحيحها من سقيمها ، وجعلوا للرواية أصولاً تقوم عليها ، وللرواة شروطاً لا بد من توفرها فيهم ، حتى يُجَنِّبوا السُنَّة زيف المزيفين وعبث المغرضين .

غير أن القرآن – على صفائه ونقائه – والسُنَّة – على سلامتها وصحتها – لم يسلما من عبث العابثين ، فإذا بالقرآن وقد تسربت إليه أفهام سقيمة ، وشُرِحَ

---

(١) النجم : ٣ – ٤ (٢) الحشر : ٧

(٣) النور : ٦٣ ، والضمير فى الآية عائد على الرسول ﷺ ، لأنه المقصود بالذكر ، ويجوز عوده على الله تعالى ، لأنه الآمر حقيقة – أفاده العلامة أبو السعود فى تفسيره .

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك ، وتمام الحديث : « ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » ومعنى ذلك : أن أحكامهما مستمرة معمول بها إلى يوم القيامة .

الكثير من نصوصه بما لا يتفق والغرض الذى نزل من أجله ، وإذا بالسُنَّة وقد تطرَّق إليها الدخيل ، والتبس الصحيح منها بالعليل ، وكان الدافع لهذا كله أغراضاً سيئة . وأحقاداً ملأت قلوب الحانقين على الإسلام والمسلمين .

وكان من أئمة الضلال ، ورؤوس الفساد والإفساد ، عبد الله بن سبأ اليهودى ، الذى تبطن الكفر والتحف الإسلام ، وتظاهر بالتشيع لآل البيت خداعاً منه ، واحتيالاً على بث سمومه وأفكاره الخبيثة بين المسلمين .

وكان من بين المسلمين - وللأسف - فريق شارك فى هذا العبث ، على اختلاف بينهم فى دوافع ذلك وبواعثه .

فعن تنطع وورع كاذب ، وضع أبو عصمة نوح بن مريم أحاديث فى فضائل السور لا أصل لها بالمرة (١) .

وعن جهالة وغباء استباح بعض الكرَّامية وضع الأحاديث فى الترغيب والترهيب (٢) .

وعن ضلالة وتزلف للأمراء ، روى غياث بن إبراهيم حديث : « لا سبق إلا فى خُفٍّ ، أو حافرٍ ، أو نَصْلٍ » وزاد فيه من وضعه : « أو جناح » وذلك ارضاء للخليفة المهدى حين دخل عليه فوجده يلعب بالحمام .

وعن غفلة وسذاجة ، أو لمجرد الشغف بالقصص وما فيه من أعاجيب تستهوى العامة . أدخل بعض المفسرين فى تفسير القرآن الكريم كثيراً من القصص

---

(١) قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح فى مقدمته فى علوم الحديث (ص ٤٧ - ٤٨ ط . بمبى) ما نصه : « روينا عن أبى عصمة - وهو نوح بن مريم - أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى محمد بن إسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة » .

(٢) واحتجوا على ذلك بأن الكذب الحرام هو الكذب على رسول الله ﷺ لقوله : « مَن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » أما مَن كذب له ، بأن روَّج لدينه وتعاليمه ، فلا يدخل تحت هذا الوعيد . وهذا - كما ترى - فهم سقيم ولا يقبل بحال ، إذ الكل كذب عليه ﷺ .

الإسرائيلى الذى لا يقبل عقلاً ولا يصح نقلاً ، وأسندوا ذلك - كذباً واختلاقاً - إلى بعض الصحابة ، بل ربما رفعوه إلى رسول الله ﷺ !!

ولقد قيَّض الله للمسلمين - من بينهم - صفوة من العلماء الأعلام ، نفوا هذا الزيف ، وكشفوا عن هذا العبث ، وحذَّروا المسلمين من أن يغتروا به أو يُخدعوا فيه ، ولكنَّا - وللأسف - وجدنا لوناً من ألوان هذا الزيف والعبث - رغم شدة التحذير - قد تسرب إلى التفسير والحديث بشكل واضح ، وذلك اللون هو القصص الإسرائيلى الذى لا يصح الكثير منه ، والذى دخل معظمه إليهما عن طريق أعداء الإسلام الذين قصدوا تشويه جماله والحط من كماله ، والذى تناقله عنهم بسلامة نية وعدم رَوِّية ، بعض المشتغلين بالتفسير والحديث ، وسوَّدوا به الكثير من كتبهم ، فاغتر بها الناس ، وحسبوها - ما دامت تُنسب إلى هذا النفر من علماء المسلمين - سليمة من الزيف ، بعيدة عن العبث فصدَّقوها ، وآمنوا بها على ما فيها من أكاذيب وأباطيل !!

ولما كان الأزهر الشريف هو المنارة الشامخة التى أقامها الله فى أرض الكنانة لترشد الناس إلى معالم الدين القويم ، وكان من واجبه أن يكشف عن هذه الدسيسة التى دسها أعداء الإسلام عليه ، ولقيت لدى كثير من العامة وبعض الخاصة رواجاً وقبولاً ، لما كان ذلك وضعه ، وتلك صفته ، عُهِدَ إلىّ - وأنا واحد من أبنائه - أن أكتب بحثاً عن الإسرائيليات فى التفسير والحديث ، وهو واحد من مجموعة البحوث التى اقترحها مجلس البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى جلسته التى عقدها فى ١٦ من شوَّال سنة ١٣٨٧ هـ (الموافق ١٦ من يناير سنة ١٩٦٨ م) ، ليتدارسها علماء المسلمين فى مؤتمرهم الرابع (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) وليُسهم بها الأزهر فى إحياء ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم ، فما وسعنى إلا أن أقوم بما عُهِدَ به إلىّ ، راجياً من الله تعالى أن يوفقنى للسداد ، وأن يأخذ بيدى إلى طريق الحق والرشاد .

هذا .. وقد رتبت البحث على مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة :

فالمقدمة : فى بيان علاقة القرآن الكريم بغيره من الكتب السماوية ومنزلته منها .

والفصل الأول : فى بيان معنى الإسرائيليات ، وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ، ومدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام .

والفصل الثانى : فى بيان أقسام الإسرائيليات ، وحكم روايتها وأشهر رواتها .

والفصل الثالث : فى الإسرائيليات فى كتب التفسير والحديث .

والخاتمة : فى بيان ما يجب أن يلتزم به مَن يفسر كتاب اللّٰه تعالى بالنسبة للروايات الإسرائيلية وما يجب أن يقوم به العلماء من تنقية كتب التفسير والحديث منها ... فأقول وباللّٰه التوفيق :

* * *

مقدمة

فى بيان علاقة القرآن الكريم بغيره من الكتب السماوية ومنزلته منها

تقوم جميع الكتب السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى مبعث محمد ﷺ على أساس واحد : هو الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ، والأخذ بما جاء عنه من تعاليم تقود الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد .

فأصول العقيدة والشريعة واحدة فى جميع الأديان ، كما يصرح بذلك قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ، أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (١) .

أما تفصيلات الشرائع العملية فتختلف فيها الكتب السماوية اختلافاً يتلاءم مع زمان كل منها ، ويتفق مع مصالح أتباعها ، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر ، وما يلائم طبيعة قوم قد لا يلائم طبيعة قوم آخرين ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (٢) .

والقرآن الكريم - باعتباره خاتم الكتب والمُنَزَّل على خاتم الرسل - جاء يجدد دعوة الكتب السماوية السابقة إلى أصول العقيدة والشريعة ، ويؤكد وحدتها فى جوهر الدعوة إلى الله وإلى حياة أفضل ، ثم هو بعد ذلك يخالف كل ما سواه من الكتب المنزَّلة بما ينفرد به من نظم التشريع ، وألوان العبادات ، وكيفيات المعاملات التى تلائم عصره ، وتتفق وصالح الإنسانية فى مرحلتها الأخيرة ... مرحلة النضج والكمال .

والكتب السماوية - غير القرآن - قد طواها الزمن ، ولم يصل إلينا منها سوى التوراة والإنجيل ، وكلاهما قد تطرَّق إليه التبديل والتحريف ، وتناول ذلك

---

(١) الشورى : ١٣ (٢) المائدة : ٤٨

منهما جانب العقيدة وجانب الشريعة على سواء ، وما فى أيدى الناس منهما اليوم ليس هو التوراة التى نَزّل الله على موسى ، وليس هو الإنجيل الذى نَزّل الله على عيسى ، وفى التوراة والإنجيل أنفسهما من التناقض والمناكير شواهد علي ما نقول ، وفى تحقيقات بعض علماء المسلمين وشهادات بعض علماء اللاهوت من غير المسلمين ما يقرر ذلك ويؤكده ، وفى القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما يقرر ذلك فى صراحة ووضوح ، فيقول عن اليهود : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ ، تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً .. ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ ... وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ ﴾ (٢) .

ويقول عن اليهود أيضاً : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ، وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ .. ﴾ (٣) .

ثم يقول بعد ذلك مباشرة فى شأن النصارى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

ثم يخاطب الفريقين بعد ذلك مباشرة فيقول : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥) .

---

(١) الأنعام : ٩١ (٢) المائدة : ٤١ (٣) المائدة : ١٣

(٤) المائدة : ١٤ (٥) المائدة : ١٥

أما القرآن الكريم فقد كتب الله له الخلود ، وحماه من التحريف والتبديل ، وصانه من تطرق الضياع إلى شيء منه ، كما قال سبحانه : ﴿ ... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِه ... ﴾ (١) .

وكما قال فى موضع آخر : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

ولقد كان خلود القرآن الكريم وحفظه من الضياع أو تطرق التحريف والتبديل إليه ، أمراً طبعياً وضرورياً ما دام هو الكتاب الذى ختم الله به رسالات السماء إلى الأرض .

وكان طبعياً وضرورياً أيضاً - بحكم ما فى القرآن من تشريعات بلغت ذروة الكمال الذى يتناسب مع الإنسانية وهى فى ذروة نضجها وتمام رشدها - أن يكون القرآن حكماً عدلاً ، ومهيمناً حقاً ، على كل ما سبقه من الكتب ، مصداق هذا قول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه .. ﴾ (٣) .

ومعنى كون القرآن مصدقاً لما سبقه من الكتب . أنه يُصَدِّقها فى الجانب العقدى الذى دعت إليه كل كتب الأنبياء ، وقامت عليه جميع رسالات السماء ، كما قال سبحانه : ﴿ ... وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا .. ﴾ (٤) .

وكما قال فى آية أخرى : ﴿ وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْه .. ﴾ (٥) .

ومعنى كون القرآن مهيمناً على ما عداه من الكتب : أنه رقيب وحارس على كل ما جاء فيها ، ومفهوم الرقابة والحراسة أتم وأشمل من مفهوم التصديق ، قال العلاَّمة أبو السعود العمادى فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه ﴾ ما نصه :

---

(١) فصلت : ٤١ - ٤٢ (٢) الحجر : ٩ (٣) المائدة : ٤٨
(٤) الأنعام : ٩٢ (٥) فاطر : ٣١

﴿ وَمُهَيْمناً عَلَيْه ﴾ : أى رقيباً على سائر الكتب المحفوظة من التغيير ، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ، ويقرر أصول شرائعها ، وما يتأبد من فروعها ، ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب ، وانقضاء وقت العمل بها ، ولا ريب فى أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها ، من أحكام كونه مهيمناً عليه » ا هـ [1] .

وعلى هذا فهيمنة القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية لا تقف عند مجرد التصديق لما فيها من الجانب العقدى ، بل تتعدى ذلك إلى الجانب التشريعى العملى ، فتقر بعض أحكامه ، وتُعَدِّل أو تُبَدِّل بعضها الآخر ، ثم تتجاوز هذا إلى تصحيح ما وقع فيها من تحريف أو دُسَّ عليها ، كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسه منْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ، قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [2] .

وكما قال فى آية أُخرى : ﴿ يَا أَهْلَ الكتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ منَ الكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [3] .

وإذن .. فالقرآن الكريم هو الأصل الذى يُرْجَع إليه عندما نريد أن نقف على مبلغ ما يصل إلينا من التوراة أو الإنجيل من صدق أو اختلاق ، وهو الحَكَم الذى يُعرض عليه ما يُنقل لنا عنهما ، فإن أثبته أثبتناه ، وإن نفاه نفيناه ، وكفى بالقرآن شاهداً ودليلاً .

محمد حسين الذهبى

* * *

---

(١) تفسير أبى السعود جـ٣ ص ٣٣ ط . المصرية .

(٢) آل عمران : ٩٣ (٣) المائدة : ١٥

الفصل الأول

في بيان معنى الإسرائيليات ، وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ، ومدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام

أولاً – معنى الإسرائيليات :

لفظ الإسرائيليات – كما هو ظاهر – جمع ، مفرده إسرائيلية ، وهى قصة أو حادثة تُرْوَى عن مصدر إسرائيلى ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثنى عشر ، وإليه ينسب اليهود ، فيقال : بنو إسرائيل ، وقد ورد ذكرهم فى القرآن منسوبين إليه فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣) .

ولفظ الإسرائيليات – وإن كان يدل بظاهره على القصص الذى يُرْوَى أصلاً عن مصادر يهودية – يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودى ، فهو فى اصطلاحهم يدل على كل ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة فى أصل روايتها إلى مصدر يهودى أو نصرانى أو غيرهما ، بل توسع بعض المفسرين والمحدِّثين فعدُّوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث

---

(١) المائدة : ٧٨ (٢) الاسراء : ٤ (٣) النمل : ٧٦

من أخبار لا أصل لها فى مصدر قديم ، وإنما هى أخبار من صنع أعداء الإسلام ، صنعوها بخبث نية ، وسوء طوِّية ، ثم دسوها على التفسير والحديث ، ليفسدوا بها عقائد المسلمين ، كقصة الغرانيق [(١)] ، وقصة زينب بنت جحش وزواج الرسول ﷺ منها [(٢)] .

---

(١) وقد أخرج هذه القصة غير واحد من المفسرين بروايات مختلفة منها ما رواه ابن كثير فى تفسيره (جـ ٣ ص ٢٢٩ ط . التجارية) عن سعيد بن جبير قال : « قرأ رسول اللّه ﷺ بمكة « النجم » فلما بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ (النجم : ١٩ - ٢٠) قال : فألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلا ، وأن شفاعتهن لترتجى » . وقد قرر ابن كثير أن قصة الغرانيق تروى بروايات كلها مرسلة وقال : ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، ونقل الألوسى فى تفسيره (جـ ١٧ ص ١٦٠ - ١٦١ ط . المنيرية) عن القاضى عياض فى الشفاء ما نصه : « يكفيك فى توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم » . ثم قال الألوسى بعد ذلك مباشرة : « وفى البحر - يعنى تفسير البحر المحيط لأبى حيان - أن هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فقال : هذا من وضع الزنادقة » .

(٢) جاءت هذه القصة فى كتب التفسير بروايات متعددة منها ما ذكره الآلوسى فى تفسيره (جـ ٢٢ ص ٢٣ ط . المنيرية) قال : « وفى تفسير عليّ بن إبراهيم أنه ﷺ أتى بيت زيد فرأى زينب وهى جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهرها ، فلما نظر إليها قال : سبحان خالق النور ، تبارك اللّه أحسن الخالقين ، فرجع ، فجاء زيد فأخبرته الخبر فقال لها : لعلك وقعت فى قلب رسول اللّه ﷺ ، فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول اللّه عليه الصلاة والسلام ؟ فقالت : أخشى أن تطلقنى ولا يتزوجنى ، فجاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال له : أريد أن أطلق زينب ، فأجابه بما نص اللّه تعالى » . وقد أمسك الحافظ ابن كثير فى تفسيره عن ذكر هذه الرواية وأمثالها وقال : « ذكر أبو حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السَلَف - رضى اللّه عنهم - أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها ، فلا نوردها » اهـ (جـ ٣ ص ٤٩١ ط . التجارية) . ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فى مقال له نشر فى مجلة لواء الإسلام (العدد الثامن من السنة الخامسة ص ٢٠٥) : « إن هذه القصة من وضع يوحنا الدمشقى فى العهد الأموى ، فقد دس ذلك النصرانى أن معنى الآية : أن النبى ﷺ رأى زينب زوج زيد فى حال أثارت عشقه فعشقها ، وأراد زواجها ، فراجت تلك الفرية بين تابعى التابعين أنفسهم حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة إليه ، وقبلها ابن جرير ، ولم يردها فخر الدين الرازي ، فكانت بلا شك أعظم الافتراء وهى تتجافى عن نسق الآية وعن خُلُق النبى ﷺ ، ولم يثبت فى الصحاح شيء من هذا ، ولم يُنْسَب هذا التخريج لأحد من الصحابة بطريق يُقبل مثله » اهـ .

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للَّون اليهودى على غيره ، لأن غالب ما يُرْوَى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع فى أصله إلى مصدر يهودى ، واليهود قومٌ بُهْتٌ ، وهم أشد الناس عداوة وبغضاً للإسلام والمسلمين كما قال سبحانه : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ .. ﴾ (١) .

واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين ، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم ، وحيلهم التى يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام ماكرة خادعة ، وعبد اللّه بن سبأ رأس الفتنة والضلال ، ومن ورائه سبئيون كثير ، تظاهروا بالإسلام ، وتلفعوا بالتشيع لآل البيت إمعاناً فى المكر والخداع ، ليعيثوا بين المسلمين فساداً ، وفى عقائدهم ومقدساتهم إفساداً ، كان لهم نصيب كبير من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة على تفسير كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ !! . ومن أجل هذا كله غلب اللَّون اليهودى على غيره من ألوان الدخيل على التفسير والحديث ، فأُطلق عليه كله لفظ الإسرائيليات .

❋ ❋ ❋

ثانياً - كيف تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث ؟

الواقع أن تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث ، مسبوق بتسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية فى الجاهلية .

فالعرب فى جاهليتهم كان يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب جلُّهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم ، والذين هاجروا إليها هجرتهم الكبرى سنة سبعين من ميلاد المسيح عليه السلام ، فراراً من العذاب والنكال الذى لحقهم على يد « تيطس الرومانى » (٢) .

---

(١) المائدة : ٨٢

(٢) انظر تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، لإسرائيل والفنون ص ٩ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام - ، لجواد على جـ ٦ ص ٢٤ ، وبنو إسرائيل من أسفارهم ، لمحمد عزة دروزة ص ٣١٥

وقد حمل اليهود معهم إلى جزيرة العرب ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية ، وما يتصل بها من شروح ، وما توارثوه جيلاً بعد جيل عن أنبيائهم وأحبارهم ، وكانت لهم أماكن يقال لها « المدراس » يتدارسون فيها ما توارثوه من ذلك ، وأماكن أخرى يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم .

وكان للعرب فى جاهليتها رحلات يرحلونها مُشَرِّقين ومُغَرِّبين ، وكانت لقريش - كما يحدثنا القرآن - رحلتان : رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ، وفى اليمن والشام كثير من أهل الكتاب معظمهم من اليهود ، وبدهى أنه كانت تتم بين العرب واليهود الذين كانوا يستوطنون هذه البلاد لقاءات ، ولا شك أن هذه اللقاءات - سواء ما كان منها فى جزيرة العرب وما كان خارجاً عنها - كانت عاملاً قوياً من عوامل تسرب الثقافة اليهودية إلى العرب الذين كانت ثقافتهم حينئذ - بحكم بداوتهم وجاهليتهم - محدودة ضيقة .

ولا شك - أيضاً - أن استمداد العرب من الثقافة اليهودية حينئذ كان محدوداً وضيقاً كذلك ، لأن ضيق الأُفق الثقافى للعرب قبل الإسلام لا يمهد لتلاحم ثقافى واسع ولا يشجع عليه .

ثم جاء الإسلام ، وجاء كتابه الخالد بعلومه وتعاليمه ، وكانت دعوة الإسلام أول ما ظهرت وانتشرت بين سكان الجزيرة العربية ، وكانت عاصمة الإسلام دار الهجرة « المدينة » ، وفى مسجد المدينة كانت تُعقد مجالس رسول اللّه ﷺ لتعليم أصحابه ، وفى المدينة ، وما حولها ، وعلى بُعْدٍ منها ، كانت تقيم طوائف يهودية كبنى قينقاع ، وبنى قريظة ، وبنى النضير ، ويهود خيبر ، وتيماء ، وفدك .

وكانت - بحكم هذا الجوار بين اليهود والمسلمين - تتم لقاءات بينهم ، لا تخلو - عادة - من تبادل العلوم والمعارف : كان النبى ﷺ يلقى اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه ، وكان اليهود يلقون رسول اللّه ﷺ ليُحَكِّموه فيما شَجَرَ بينهم ، أو ليسألوه عن بعض ما يعن لهم السؤال عنه ، إما تحدياً وتعجيزاً ، وإما امتحاناً واختباراً لصدق نبوّته ، وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من ذلك .

كذلك كانت تتم لقاءات بين بعض المسلمين وبعض اليهود ، تدور فيها مناقشات ومجادلات ، وتقع فيها سؤالات واستفسارات ، ثم كان هناك ما هو أهم من هذا كله ، وهو دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم فى الإسلام كعبد اللّه بن سلام ، وعبد اللّه بن صوريا [(١)] ، وكعب الأحبار وغيرهم ممن كانت لهم ثقافات يهودية واسعة ، وكانت لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ ، وبهذا كله التحمت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية بصورة أوسع ، وعلى نطاق أرحب .

وإذا نحن نظرنا إلى المناحى الثقافية للدولة الإسلامية وجدنا الكثير منها قد تأثر بالثقافة اليهودية : فالتاريخ وما أُلِّف فيه من مؤلَّفات ، نقرؤه ونتصفح الكثير من هذه المؤلَّفات ، فنجد بعضها قد عَنِىَ عناية واضحة بذكر تاريخ بنى إسرائيل وأنبيائهم وما جرى بينهم ولهم من حوادث ووقائع ، وبعض ما يُذكر من ذلك لا أصل له ، كما فعل ابن جرير الطبرى فى تاريخه ، وكما فعل ابن كثير أيضاً .

وعلوم الجدل والكلام تأثرت بالإسرائيليات أيضاً ، نتصفح ما بين أيدينا من كتب الجدل والمذاهب الكلامية فنجد بعض ما فيها من معتقدات لبعض الفرق قد تسرَّب لها عن طريق اليهود ، فابن الأثير يحدثنا فى تاريخه عن أحمد بن أبى دؤاد : « أنه كان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة ، وأنه أخذ ذلك عن بشر المريسى ، وأخذه بشر عن الجهم بن صفوان ، وأخذه جهم عن الجعد بن درهم ، وأخذه الجعد عن أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه ، وأخذه طالوت عن لبيد بن الأعصم الذى سحر النبى ﷺ ، وكان لبيد يقول بخلق القرآن » [(٢)] .

---

(١) ويقال له أيضاً ابن صورى ، ويرى بعض المؤرخين أنه أسلم ، ثم ارتد إلى يهوديته – انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٠٤ ط . حجازى .

(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٧ ص ٢٦ . ط . الأميرية .

ويحدثنا أبو منصور البغدادى صاحب الفَرْق بين الفِرَق : أن عقيدة السبئية فى أن علياً – كرَّم اللّه وجهه – لم يُقتل ولكنه رُفِعَ إلى السماء كما رُفِعَ عيسى ابن مريم ، ضلالة فرَّخها فى الأصل عقل عبد اللّه بن سبأ اليهودى ، ثم نشرها وروَّج لها بين أصحابه ، فزعم « أن المقتول لم يكن علياً ، وإنما كان شيطاناً تصوَّر للناس فى صورة علىّ ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم عليه السلام وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى . كذلك كذبت النواصب [١] والخوارج فى دعواها قتل علىّ ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبَّهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل علىّ رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علىّ ، وعلىّ قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه » [٢] .

والتفسير والحديث ، كلاهما تأثر إلى حد كبير بثقافات أهل الكتاب على ما فيها من أباطيل وأكاذيب ، وكان للإسرائيليات فيها أثر سىء ، حيث تقبلها العامة بشغف ظاهر ، وتناقلها بعض الخاصة فى تساهل يصل – أحياناً – إلى حد التسليم بها على ما فيها من سخف بيِّنٍ وكذب صريح ، الأمر الذى كاد يُفسد على كثير من المسلمين عقائدهم ويجعل الإسلام فى نظر أعدائه دين خرافة وتُرهات .

ولكن كيف تصاعد تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث بهذه الصورة المتفشية ؟ ولِمَ لقيت الإسرائيليات لدى قلوب العامة والأغمار من الجهلة رواجاً وقبولاً ؟

❊ ❊ ❊

● أما كيف تصاعد تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث بهذه الصورة المتفشية ؟ فنقول فى الجواب عنه : من الثابت الواضح لكل مَن له معرفة بنشأة

---

(١) النواصب – كما فى القاموس – هم المتدينون ببغضة علىّ رضى اللّه عنه ، لأنهم نصبوا له ، أى عادوه .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ – ٢٢٤ . ط . المعارف .

العلوم وتطورها ، أن التفسير والحديث مرا بمرحلتين متميزتين : أولاهما : مرحلة الرواية ، وثانيتهما : مرحلة التدوين .

أما مرحلة الرواية : فقد كان رسول اللّه ﷺ يجلس إلى أصحابه يحدثهم بما يهمه ويهمهم من شئون دينهم ودنياهم ، وكان حديثه يتناول بعض تفسيرات لما خفى على صحابته من كتاب اللّه عز وجل .

وكان الصحابة - رضوان اللّه عليهم - يعون ذلك عنه ويحفظونه ، ثم يبلغونه لبعض إخوانهم الذين غابوا عن مجلس رسول اللّه ﷺ ، ولمن تتلمذ عليهم بعد من التابعين .

وكان التابعون يروى بعضهم لبعض ما تحملوه عن الصحابة ، كما يروونه لمن تتلمذ عليهم من تابعيهم .

ولم يكن كل ما يرويه التابعون وتابعوهم مقصوراً على ما هو مرفوع إلى رسول اللّه ﷺ ، بل كان فى ضمن ما يروونه موقوفات على الصحابة أو التابعين ، بعضها يرجع إلى التفسير ، وبعضها يرجع إلى غيره من الأمور الدينية .

غير أن الرواية للمأثور من التفسير والحديث لم تكن فى أدوارها المختلفة تمشى على نمط واحد من الضبط والتثبت : ففى عصر الصحابة - رضوان اللّه عليهم - كانوا يتحرون الصحة فيما يتحملون ويروون ، وكانوا لثقتهم وقوة ضبطهم ، وما طُبعوا عليه من العدالة والأمانة ، لا يترددون - فى الأعم الأغلب - فى قبول ما يُرْوَى لهم من حديث رسول اللّه ﷺ ، وما كان من تشدد بعضهم فى الرواية وعدم قبوله للمروى إلا إذا ثبتت صحته لديه بالشهادة أو اليمين ، لم يكن لعدم ثقته بالراوى ، وإنما كان لمجرد التأكد وقوة التثبت من المروى [1] .

---

(١) من هذا القبيل ما رواه الحافظ الذهبى من أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه - قال لأُبَىّ ابن كعب - وقد روى له حديثاً - لتأتننى على ما تقول ببينة ، فخرج فإذا ناس من الأنصار ، فذكر لهم ، قالوا : قد سمعنا هذا من رسول اللّه ﷺ فقال عمر : أما إنى لم أتهمك ، ولكنى أحببت أن أتثبت - الحديث والمحدثون ص . ٧ - ط . مصر .

وفي عصر التابعين كثر الوضع [١] . وفشا الكذب على رسول اللّه ﷺ فكانوا لا يقبلون حديثاً إلا إذا كان مسنداً وثبت لديهم عدالة رواته وقوة ضبطهم . روى الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنه قال : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم »[٢].

وفى عصر تابع التابعين ازداد خطر الوضع حيث تفشى بصورة مزعجة ، وتطرق الكثير من الموضوعات إلى التفسير والحديث ، خدمة لأهواء المبتدعة ونزعات المضللة ، فوقف علماء المسلمين ومحدِّثوهم أمام هذا الخطر موقف حزم وعزم ، وتصدوا لهذه المفتريات ، فكشفوا عن بطلانها ، وأبانوا للناس كذبها ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل وضعوا لرواية الحديث ورواته قواعد وضوابط محررة ، جعلوها معايير ومقاييس يمكن بواسطتها معرفة المقبول والمردود من الحديث ، ومن تُقبل روايته ومن لا تُقبل من الرواة .

وقد كان طابع الرواية إلى هذا الوقت : أن يُذكر المروى مقروناً بإسناده ، وكان هذا يسهل لنقاد الحديث مهمة النقد ، ويوضح أمامهم الرؤية لمعرفة درجة المروى والحكم عليه بالقبول أو الرد .

ثم خَلَفَ من بعد هؤلاء خَلْفٌ تساهلوا فى الرواية والمروى ، فإذا رووا حذفوا الأسانيد ، وإذا تحملوا مروياً لا يسألون عن سنده ، وكانت تلك طامة كبرى على المأثور من التفسير والحديث ، حيث عمى ذلك على الناس وجه الحق ، فلم يمكنهم أن يميزوا الصدق من الكذب ، ولا الحق من الباطل ، ولو أن هؤلاء المتساهلين فى الرواية ذكروا ما يروونه بالأسانيد لأمكن نقدها والحكم عليها بالصدق أو الكذب .

وأما مرحلة التدوين : فقد بدأت فى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثانى ، وكان ابتداء التدوين للتفسير والحديث فى وقت واحد ، وذلك أن عمر بن

---

(١) كان مبدأ ظهور الوضع فى الحديث سنة ٤١ هـ حين وقعت الفتنة بين المسلمين وانقسم الناس إلى شيعة وخوارج وجمهور أهل السُنَّة ، ولكن فشو الوضع وتفاقم خطره كان فى عصر التابعين .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١١٢ - ط . الأميرية .

عبد العزيز - رضى اللّه عنه - لما وجَّه إلى علماء الآفاق أمره بجمع ما صح لديهم من حديث رسول اللّه ﷺ ، جدُّوا فى ذلك كل الجد . وطوَّف منهم مَن طوَّف فى الأمصار المختلفة ، يجمعون حديث رسول اللّه ﷺ ، وفى ضمنه ما أُثِرَ عنه فى التفسير وبعض ما هو موقوف على الصحابة أو التابعين ، وكانوا يدوِّنون ما يجمعون ويجعلونه أبواباً متنوعة ، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب ، ومعنى هذا : أن جمعهم وتدوينهم للتفسير المأثور كان فى الحقيقة جمعاً لباب من أبواب الحديث ، ولم يكن جمعاً ولا تدويناً للتفسير على أنه علم مستقل .

ثم كانت خطوة أُخرى انفصل فيها التفسير عن الحديث ، ودُوِّن كل منهما على حدة ، فأصبح التفسير علماً قائماً بنفسه ، كما أصبح الحديث علماً قائماً بنفسه ، وكان التفسير - رغم انفصاله عن الحديث - لا تزال تغلب عليه سمة الحديث وطابعه ، فقد كان ما دُوِّن فيه فى هذه الفترة لا يتجاوز المأثور عن النبى ﷺ أو عن الصحابة أو التابعين ، اللّهم إلا بعض ترجيحات وتوجيهات لبعض ما يُرْوَىٰ .

وكانت طريقة تدوين التفسير والحديث فى هذه الفترة أن تذكر الروايات مقرونة بأسانيدها حتى يمكن - عن طريق نقد السند - معرفة درجة المروى من الصحة أو الضعف .

ثم وُجِدَ بعد ذلك من المفسرين والمُحَدِّثين مَن اقتصر فى تدوين ما يروى فى التفسير أو الحديث على المروى مجرداً عن السند ، وكان هذا العمل فى مرحلة التدوين - كما كان فى مرحلة الرواية - طامة كبرى : ذلك لأن حذف الأسانيد جعل مَن ينظر فى هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها ، ثقة منه بأصحابها ، وجعل بعض مَن كتبوا بعد فى التفسير ينقلون عنها ما حوت من أباطيل وأكاذيب ، معتقدين صحتها وصدقها .

وبعد .. فيتضح لنا مما تقدم أمور :

١ - أن التفسير والحديث كانا متلاحمين فى مرحلتى الرواية والتدوين تلاحماً بَيِّناً حتى لا يكاد التفسير - وأعنى به التفسير بالمأثور- يخرج عن كونه حديثاً.

٢ - أن ما طرأ على التفسير فى مرحلتى الرواية والتدوين من عوامل الضعف هو بعينه ما طرأ على الحديث .

٣ - أن ما دُسَّ على التفسير من كذب وأباطيل ، هو بعينه بعض ما دُسَّ على الحديث ، فقد وُضعَتْ - لأهواء وأغراض سيئة - أحاديث على رسول الله ﷺ ونُسبَت إليه ، كان الكثير منها مادة للتفسير ، يرجع إليها ، ويستمد منها بعض من ابتُلِىَ بهم الإسلام من المضللين أو المخدوعين .

ولقد كانت الإسرائيليات - كما قلنا - أخطر ما دُسَّ على التفسير والحديث وقد تسربت إليهما على تدرج ملحوظ فى مرحلتى الرواية والتدوين :

أما فى مرحلة الرواية : فقد تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث فى وقت واحد ، ضرورة أنهما كانا فى أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر ، وقد بدأ ذلك فى عهد الصحابة ، فقد كانوا يقرأون القرآن الكريم ، ويمرون على ما فيه من قصص وأخبار ، يرونها تقتصر فى ذكر حوادثها على موضع العظة والعبرة ، وتطوى من جزئياتها . وتجمل من تفاصيلها ما يعلمون - بحكم جوارهم لأهل الكتاب ودخول نفر منهم فى الإسلام - أن التوراة والإنجيل وما يتصل بهما من شروح وسُنَن ، تشتمل على كثير مما يشتمل عليه القرآن من وقائع وأحداث ، وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء عليهم السلام ، ولكن بإسهاب وتفصيل يكشف عن كثير مما طواه القرآن منها .

وكانت نفوس بعض الصحابة تميل إلى معرفة هذه التفاصيل ، فيلقون بعض من أسلم من أهل الكتاب فيسألونهم عما تشوَّقت نفوسهم إليه ، فيجيبونهم بما يعرفونه من ذلك .

غير أن رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب فى معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم ، ولم يثبت فيه شىء عن رسول الله ﷺ ، كان على نطاق ضيق وكان تقبلهم لما يُرْوَى لهم من ذلك مقيداً بقيود نذكرها فيما بعد .

ثم جاء عصر التابعين ، وفيه اتسع النقل عن أهل الكتاب ، ونمت رواية الإسرائيليات فى التفسير والحديث نمواً مزعجاً ، وكان مرجع ذلك إلى كثرة مَن

دخل من أهل الكتاب فى الإسلام . وشدة ميل نفوس القوم لسماع ما فى كتبهم من أعاجيب ، حتى وُجِدَ فى هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا ما يرونه ثغرات قائمة فى التفسير بما وصل إليهم من الإسرائيليات ، فجاء ما رُوِىَ عنهم فى التفسير مليئاً بقصص كله سخف ونكارة كالذى نراه فى كتب التفسير منسوباً إلى قتادة (١) ومجاهد (٢) رضى الله عنهما .

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط فى الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ، ولا يُحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يُرْوَى لهم وإن كان لا يتصوره العقل !! واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل الأخبار التى يعتبر الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين (٣) .

ويُلاحَظ أن الذين شحنوا التفسير والحديث بالإسرائيليات فى هذه المرحلة أكثرهم من القصَّاص الذين كانوا يجلسون إلى العامة فى المساجد وغيرها ، يستميلون قلوبهم بما يروونه من أعاجيب تستهويهم ، ويتخذون من ذلك سبيلاً إلى استدرار ما فى أيديهم !!

وأما فى مرحلة التدوين : فقد عرفنا أن الحديث دُوِّنَ ضمن ما دُوِّنَ من العلوم المختلفة ، وكان التفسير باباً من أبوابه ، وما جُمِعَ من المأثور أول الأمر كان مذكوراً بأسانيده ، وكان فى جملته خالياً من الإسرائيليات إلا قليلاً منها لا يعارضه نص شرعى ، وبعض منها مروى عن رسول الله ﷺ من طريق صحيح كأحاديث بنى إسرائيل الموجودة فى صحيح البخارى وغيره من أمهات كتب الحديث .

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسى المتوفى سنة ١١٧ هـ .

(٢) هو مجاهد بن جبر المكى المتوفى سنة ١٠٤ هـ - على المشهور - وكان بعض الناس يتقى تفسيره لما يرون أنه كان يسأل أهل الكتاب .

(٣) انظر التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٧٦ ، نشر مكتبة وهبة ١٩٨٥

ثم لما انفصل التفسير عن الحديث ، ودُوِّنَ كل منهما على حدة ، كان ما يدوَّن فى أول الأمر يدوَّن مقروناً بأسانيده ، وكان فيما يدوَّن طائفة من الإسرائيليات غير قليلة ، وفى بعض منها نكارة وغرابة ، وكان مَن يفعل ذلك من المفسرين يرى أنه ما دام قد ذكر الإسناد فقد خرج من العهدة ، وعلى مَن ينظر فى السند أن ينقده ليتعرف درجة المروى ، وقديماً قال علماء الحديث : « من أسند لك فقد حملك » ومن هؤلاء ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

ثم جاءت بعد ذلك طبقة ممن دوَّنوا فى التفسير والحديث ، حذفوا الأسانيد ، ولم يتحروا الدقة فيما يكتبون ، فجمعوا الصحيح وغيره فى مصنفاتهم ، وفى ضمن ذلك كثير من الإسرائيليات ، فلبَّسوا بذلك على الناس أمر دينهم ، وكلما تقدم الزمن بالناس كلما تهاون بعض مَن تصدوا لكتابة التفسير والحديث ، حتى وجدنا من بينهم مَن أغرم بالقصص الإسرائيلى ، حتى لا يكاد يدع من ذلك شاردة ولا واردة ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ .

وليت هؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك أراحوا الناس من هذه الخرافات ، وصانوا مصنفاتهم عن هذا العبث الذى كان ولا يزال مادة خصبة يستمد منها أعداء الإسلام مطاعنهم على كتاب اللّه تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ - ليتهم فعلوا ذلك - إذن لحفظوا للقرآن حرمته ، وللحديث قداسته .

هذا ، وقد عرض العلاَّمة ابن خلدون فى مقدمته لمبدأ دخول الإسرائيليات فى التفسير وتطوره ، وبيَّن الأسباب التى دعت إلى الإكثار من ذكرها ، ونرى أن نذكر مقالته إتماماً للفائدة :

قال رحمه اللّه : « .. وقد جمع المتقدمون فى ذلك - يعنى التفسير النقلى - وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب فى ذلك : أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأُمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومَن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ

بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من « حمير » الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها ، مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم ، وفى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بَعُدَ صيتهم ، وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ .. » اهـ (١) .

ومن هذه المقالة يتضح لنا : أن ابن خلدون أرجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية ، فعَدَّ من الاعتبارات الاجتماعية ، غلبة البداوة والأُمية على العرب ، وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وهم إنما يسألون فى ذلك أهل الكتاب قبلهم .

وعَدَّ من الاعتبارات الدينية التى سوَّغت لهم تلقى المرويات فى تساهل وعدم تحر للصحة : أن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام فيُتحرى فيها الصحة التى يجب بها العمل .

وسواء أكانت هذه هى كل الأسباب أم كانت هناك أسباب أخرى ، فإن كثيراً من كتب التفسير قد اتسع لما قيل من ذلك وأكثر ، حتى أصبح ما فيها مزيجاً متنوعاً من مخلفات الأديان المختلفة ، والمذاهب المتباينة (٢) .

* * *

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٠ - ٤٩١ ط . الشرقية .

(٢) انظر التفسير : معالم حياته .. منهجه اليوم ، للأستاذ المرحوم أمين الخولى ص ١٠ - ١١ ط . العلمين ، وانظر التفسير والمفسرون ، نشر مكتبة وهبة ، جـ ١ ص ١٧٧

● وأما لِمَ لقيت الإسرائيليات لدى قلوب العامة والأغمار من الجهلة رواجاً وقبولاً ؟ .. فنقول فى الجواب عنه :

١ - إن أعداء الإسلام - ومنهم اليهود - هالهم ما للإسلام وأهله من قوة ، فتربصوا به الدوائر ، ووقفوا فى طريقه يحاربونه ويصدون الناس عنه ، ولكن الإسلام بصدق تعاليمه لم تقم فى وجهه لأعدائه حجة ، والمسلمون بقوة يقينهم لم تعطل مسيرتهم الظافرة ، وفتوحاتهم الباهرة جيوش أعدائهم على كثرتها وقوتها، الأمر الذى جعل أعداء الإسلام والحانقين عليه من اليهود وغيرهم ، يبحثون عن طريق آخر يصلون به إلى النَيل من الإسلام وأهله . فتفتقت عقولهم الماكرة وقلوبهم الفاجرة ، عن مكر سيء وخداع بشع ، فتظاهر نفر منهم بالدخول فى الإسلام وقلوبهم منه خاوية ، وتشيّعوا لآل بيت رسول الله ﷺ وصدورهم على الحقد طاوية ، واستغلوا عواطف المسلمين وحبهم لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاتشحوا بالسواد ، وسكبوا دموع التماسيح حزناً وأسىً على ما زعموا من ظلم آل البيت ، وغالوا فى تقديرهم وتقديسهم حتى وصلوا بهم إلى مراتب النبوّة أو يزيد ، وصوّروا أبا بكر وعمر وعثمان غاصبين للخلافة التى هى حق علىّ وذريته من بعده ، ووضعوا فى ذلك كله أحاديث غريبة ، ونسجوا فيه قصصاً عجيبة ، معظمها منتزع من أُصول يهودية .

واليهود قوم ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، فمن السهل عليهم أن يحبكوا القصة فى خبث ومهارة حبكاً تاماً ، ثم يذيعوها بين أوساط العامة ومَن يستخفونهم من البسطاء والجهلة فإذا بها وقد شاعت وانتشرت ، وتلقفها نفر من الناس منسوبة إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله منها ومن قائليها ومروجيها برىء .

٢ - كثرة القصّاص كثرة أزعجت بعض علماء المسلمين كما أزعجت بعض أُولى الأمر منهم ، فطردوهم من المساجد ، ومنعوا الناس من الجلوس إليهم والاستماع لما يقصون [١] .

---

(١) فعل ذلك علىّ كرم الله وجهه واستثنى الحسن البصرى إذ كان له فيمايقص مسلك سليم (انظر الإحياء للغزالى جـ ١ ص ٥٨ - ٥٩ ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية) وفعله عبد الله =

وكان القصّاص يستميلون قلوب العامة ويستهوونهم بما يروونه لهم من غرائب وأعاجيب ، والنفس - إذا لم يكن لها حصانة من علم صحيح ، وبصيرة تميز بها بين الحق والباطل - كثيراً ما تنطلى عليها تلك الأعاجيب ، وتسلم فى بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب !!

ولقد صوّر لنا العلامة ابن قتيبة مبلغ تأثير هؤلاء القصّاص على قلوب العامة فقال عنهم - وقد عدّهم من عوامل دخول الشوب والفساد على الحديث - إنهم « كانوا يميلون وجوه العوام إليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير ، والغريب ، والأكاذيب من الأحاديث . ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجباً خارجاً عن فطر العقول ، أو كان رقيقاً يحزن القلوب . ويستغزر العيون ، فإذا ذكر الجنة قال : فيها الحوراء من مسك أو زعفران ، وعجيزتها ميل فى ميل ، ويبوىء الله تعالى وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء ، فيه سبعون ألف مقصورة ، فى كل مقصورة سبعون ألف قبة ، فى كل قبة سبعون ألف فراش ، على كل فراش سبعون ألف كذا وكذا ... فلا يزال فى سبعين ألف كذا ، وسبعين ألف كذا ، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ألفاً ولا دونها ، ويقول : لأصغر مَن فى الجنة منزلة عند الله . مَن يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا ضعفاً ، وكلما كان هذا أكثر ، كان العجب أكثر ، والقعود عنده أطول ، والأيدى بالعطاء إليه أسرع ، والله تبارك وتعالى يخبرنا فى كتابه بما فى جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصّاص وسائر الخلق .. » [1] .

وإذا أردنا أن نقف على مبلغ ما كان للقصّاص من سلطان وتأثير على قلوب العامة فلنستمع إلى هذه الحادثة العجيبة التى يُحَدِّث بها عامر الشعبى عن نفسه ، قال :

= ابن عمر رضى الله عنهما وكان يستعين على إخراجهم من المسجد بصاحب الشرطة (انظر الحديث والمحدثون ص ١٨٨) وفعله المعتضد الخليفة العباسى (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٤٦) وفعله غيرهم ممن أدركوا خطر القصّاص على عقول العامة وعقائدهم .

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ط . كردستان .

« بينما عبد الملك بن مروان جالس وعنده وجوه الناس من أهل الشام قال لهم: مَن أعلم أهل العراق ؟ قالوا : ما نعلم أحدا أعلم من عامر الشعبى ، فدخلت أصلّى فى المسجد ، فإذا إلى جانبى شيخ عظيم اللّحية ، قد أطاف به قوم فحدّثهم ، قال : حدثنى فلان عن فلان يبلغ به النبى ﷺ : أن اللّه تعالى خلق صورين ، فى كل صور نفختان : نفخة الصعق ونفخة القيامة ، قال الشعبى : فلم أضبط نفسى أن خففت صلاتى ، ثم انصرفت ، فقلت : يا شيخ ، اتق اللّه ولا تحدثنا بالخطأ ، إن اللّه تعالى لم يخلق الا صوراً واحداً ، وإنما هى نفختان : نفخة الصعق ، ونفخة القيامة ، فقال لى : يا فاجر ، إنما يحدثنى فلان عن فلان وترد علىّ ، ثم رفع نعله وضربنى بها ، وتتابع القوم علىّ ضرباً معه ، فواللّه ما أقلعوا عنى حتى حلفت لهم أن اللّه خلق ثلاثين صوراً له فى كل صور نفخة ، فأقلعوا عنى ، فرحلت حتى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك ، فسلّمت عليه ، فقال لى : يا شعبى ، باللّه حدّثنى بأعجب شىء رأيته فى سفرك ، فحدثته حديثى المتقدم ، فضحك حتى ضرب برجليه » [١] .

٣ - أن القصّاص لجأوا فى ترويج ما يقصون إلى الكذب والتمويه على العامة . فنسبوا بعض ما يروونه من ذلك إلى بعض أعلام المحدّثين وشيوخهم ، يرفعونه إلى رسول اللّه ﷺ ، أو يوقفونه على بعض أصحابه ، وكانوا يرون أن عملهم هذا يورث قصصهم ثقة سامعهم فيه ، وقبولهم له ، وهذا ما لا يتوفر لمروى خلا عن مثل هذه النسبة !!

ولقد بلغ الكذب فى نسبة ما يرويه بعض القصّاص لبعض أعلام المحدّثين حد الوقاحة ، وقد روى السيوطى - رحمه اللّه - شيئاً من ذلك عن جعفر بن محمد الطيالسى قال : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاص فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال رسول اللّه ﷺ : مَن قال لا إله إلا اللّه ، خلق اللّه من كل كلمة طيراً ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان

---

(١) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٥١ - ٥٢

... وأخذ فى قصة نحواً من عشرين ورقة ، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى بن معين ، ويحيى ينظر إلى أحمد ، فقال له : أنت حدثته بهذا ؟ فقال : واللّه ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ القطيعات [1] ثم قعد ينظر بقيتها ، قال يحيى بن معين بيده ، تعال ، فجاء متوهماً لنوال ، فقال له يحيى : مَن حدَّثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فقال له : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد بن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول اللّه ﷺ ، فإن كان لا بد والكذب ، فعلى غيرنا ، فقال له : أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم ، قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما حققته إلا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف علمت أنى أحمق ؟ قال : كأن ليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ، قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فوضع أحمد كُمّه على وجهه وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بهما [2] .

* * *

ثالثاً - مدى خطورة الإسرائيليات على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام :

لا شك أن الإسرائيليات بما حوته من أباطيل وخرافات نُسِبَ الكثير منها إلى رسول اللّه ﷺ وإلى صحابته رضوان اللّه عليهم ، واتخذها بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم ، تُشَكِّل - فى صورتها هذه - خطراً بالغاً وشراً مستطيراً ، وذلك لإفضائها إلى النتائج التالية :

١ - إنها تُفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوى عليه من تشبيه وتجسيم للّه سبحانه ، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله ، وربما فيها من نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين ، وتصويرهم فى صورة مَن استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم

(١) القطيعات : قطع النقود الصغيرة ، جمع قطيعة ، تصغير قطعة .

(٢) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٤٨ - ٤٩

ملذاتهم ونزواتهم إلى قبائح وفضائح لا تليق بإنسان عادي فضلاً عن أن يكون نبياً .

ومن أمثلة ما جاء من منكرات الإسرائيليات مما لا يليق بجلال الله وكماله ما يُذكر فى سفر التكوين فى الإصحاح الثامن عشر ، عند الكلام عن إهلاك قوم لوط من « أن الله ومَلَكَين معه ظهروا لإبراهيم فى صورة رجال ثلاثة ، فخف لاستقبالهم ، ودعاهم ليستريحوا عنده ، ويغسلوا أرجلهم ويُطعَموا ، فأجابوه ، فأسرع إلى خيمته وقال لسارة : أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميذا ، اعجنى واصنعى خبز مَلَّة ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وأعطاه لغلامه ليجهزه لهم ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى أعده ووضعه أمامهم ، فأكلوا وهم جلوس تحت شجرة ، ثم أخذ الرب يكلم إبراهيم فى أمر سارة وهلاك قوم لوط ، ولما فرغ من كلامه معه ، ذهب الرب ورجع إبراهيم إلى مكانه ... » إلخ .

والقرآن الكريم حينما يعرض لقصة هلاك قوم لوط ، يصرح بأن الذين وفدوا على إبراهيم ليسوا إلا ملائكة مرسَلين من قبل الله عز وجل ، جاءوا فى صورة آدميين ، فلم يفطن لكونهم ملائكة ، وقدَّم لهم طعاماً : عجلاً حنيذاً ، فلم يأكلوا ، فنكرهم وأوجس منهم خيفة ، فأعلموه أنهم ملائكة أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط .

جاءت هذه القصة فى القرآن الكريم نقية من هذا الهراء الإسرائيلى ، وذلك حيث يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ، قَالَ سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (١) .

ومن ذلك الذى لا يليق بجلال الله وكماله ما جاء فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين من أن الله فرغ من خلق الدنيا فاستراح فى اليوم السابع ، وبارك ذلك اليوم وقدّسه لأنه استراح فيه من جميع عمله الذى عمل .

---

(١) هود : ٦٩ - ٧٠ .

والقرآن الكريم ينفى التعب عن اللّه فى صراحة ووضوح ، وذلك حيث يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (١) .

ومن أمثلة ما جاء من مناكير الإسرائيليات مما يقدح فى الأنبياء وينفى عنهم العصمة ما جاء فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من أن ابنتى لوط سقتا أبيهما خمراً ، فزنى بهما ، وحملتا منه ، وولدت كل منهما ولداً : ابن الكبيرة أبو الموآبيين ، وابن الصغيرة أبو بنى عمون إلى اليوم !!

والقرآن الكريم يصرح بأن لوطاً أنكر على قومه الفاحشة فى لون من ألوانها بقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (٢) فكيف يُتصوَّر منه – وهو نبى اللّه المعصوم – أن يقع على الفاحشة فى أقبح حالاتها وأفحش صورها !!

ومن أمثلته أيضاً ما جاء فى سفر صمويل الثانى ، الإصحاح الحادى عشر من أن « داوود عليه السلام ، ذات مساء قام عن سريره ، وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم – وكانت المرأة جميلة المنظر جداً – فأرسل داوود وسأل عن المرأة ، فأُخبر أنها زوجة أوريا ، فأرسل داوود مَن أحضرها إليه فاضطجع معها فحملت منه ، وأخبرته بذلك وأراد أن يتخلص من أُوريا حتى تخلص له زوجته ، فكتب إلى يوآب أن يجعل أُوريا فى وجه الحرب الشديدة ، وأن يرجعوا من ورائه حتى يُضرب فيموت .. » إلخ .

وما كان لداوود عليه السلام ولا لأى نبى أن يسقط إلى هذا الحد فى حمأة الشهوة فيزنى بامرأة غيره ويحتال على قتله !! إنها لفرية بلقاء مفضوحة ، والعجب أنها فى كتاب يزعم أنه مقدَّس ويُنسب إلى اللّه سبحانه !!

ومن أمثلة ما يخل بمقام النبوَّة أيضاً ويجعل النبى داعية لنقيض دعوته وهداماً لأصل رسالته : ما جاء فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج : من أن هارون عليه السلام هو الذى صنع العجل لبنى إسرائيل ودعاهم إلى

---

(١) سورة ق : ٣٨ (٢) الشعراء : ١٦٥ – ١٦٦

عبادته !! .. والقرآن الكريم يصرح بأن الذى صنع العجل لبنى إسرائيل هو موسى السامرى ، وأن هارون أنكر ذلك وحذرهم أن يُفتنوا به ، وذلك حيث يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ، قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً ، أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (١) .

وفى بعض كتب التفسير من الإسرائيليات التى تقدح فى عصمة الأنبياء شىء كثير سوف نذكر بعضه عند الكلام عن الإسرائيليات فى كتب التفسير والحديث .

٢ - إنها تُصَوِّر الإسلام فى صورة دين خرافى يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها ، وكلها نسيج عقول ضالة ، وخيالات جماعات مضلِّلة ، ومن أمثلة ذلك ما يُرْوَى فى صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب أو السماء ويحاكها ، فاعتراه لذلك صلع ، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن (٢) ، وما يُرْوَىٰ فى شأن داوود عليه السلام من أنه سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نبت العُشب من دموع عينيه ، ثم زفر زفرة هاج لها ذلك النبات (٣) .

---

(١) طه : ٨٣ - ٩٠ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٣٣٥ - وقد روى هذا ابن جرير فى تفسيره .

(٣) المرجع السابق .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره القرطبى عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ .. الآية [١] من « أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ، ورؤوسهم قد خرقت العرش » . وما رواه فى نفس الموضع عن كعب الأحبار قال : « لما خلق اللّه تعالى العرش قال : لن يخلق اللّه خلقاً أعظم منى ، فاهتز ، فطوّقه اللّه بحية ، للحية سبعون ألف جناح ، فى الجناح سبعون ألف ريشة ، فى كل ريشة سبعون ألف وجه ، فى كل وجه سبعون ألف فم ، فى كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها فى كل يوم من التسبيح عدد قَطْر المطر وعدد الشجر والورق ، وعدد الحصى والثرى . وعدد أيام الدنيا ، وعدد الملائكة أجمعين ، فالتوَت الحية بالعرش ، فالعرش إلى نصف الحية ، وهى ملتوية عليه [٢] .

٣ - إنها كادت تذهب بالثقة فى بعض علماء السَلَف من الصحابة والتابعين فقد أُسند من هذه الإسرائيليات المنكرة شيء ليس بالقليل إلى نفر من سَلَفنا الصالح الذين عُرِفوا بالثقة والعدالة ، واشتُهِروا بين المسلمين بالتفسير والحديث، واعتُبِروا من المصادر الدينية الهامة عند المسلمين ، فاتُهِموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات اليهم بأبشع الاتهامات ، وعدَّهم بعض المستشرقين ومن مشى فى ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله ، ومن أكثر هؤلاء السَلَف نيلاً منه وتحاملاً عليه : أبو هريرة ، وعبد اللّه بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، ممن لهم فى الإسلام قدم راسخة ، وسوف نعرض - فيما بعد - لموقف هؤلاء وغيرهم من رواية الإسرائيليات إن شاء اللّه تعالى .

٤ - إنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذى أُنْزِل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر فى آياته ، والانتفاع بعبره وعظاته ، والبحث عن أحكامه وحكمه ، إلى توافه لا خير فيها ، وصغائر لا وزن لها ، وتفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها والبحث عنها عبثاً محضاً ، ومضيعة للوقت فيما لا فائدة من

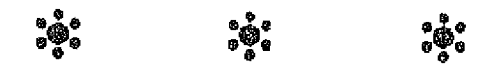
---

(١) غافر : ٧

(٢) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، ط . دار الكتب المصرية .

معرفته ، ومن أمثلة ذلك : الكلام عن لون كلب أهل الكهف ، واسمه ، وعن عصا موسى من أى الشجر كانت ، وعن اسم الغلام الذى قتله الخضر ، وعن طول سفينة نوح وعرضها ، وارتفاعها ، وأسماء الحيوانات التى حُمِلَت فيها .. وغير ذلك مما طواه القرآن الكريم وسكت عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين من ذكره لهم ومعرفتهم به .

هذه هى جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام من رواية الإسرائيليات ، ولا زالت اليهود تبذل من جهدها لإفساد عقائد المسلمين وإضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن والسُنَّة وما يتصل بهما ، وزعزعة ثقتهم فى سَلَفهم الصالح ، الذين حملوا رسالة الإسلام ونشروها فى ربوع المشرق والمغرب ، وما جولزيهر الإسرائيلى وغيره من دعاة اليهودية المستشرقين ، مَن مات منهم ومَن لا يزالون منتشرين إلى اليوم بصفة خاصة فى القارة السوداء - كما يقولون - إلا معاول هدم للإسلام ، والله من ورائهم محيط .



الفصل الثانى

فى بيان أقسام الإسرائيليات ، وحكم روايتها ، وأشهر رواتها

أولاً - أقسام الإسرائيليات :

للإسرائيليات تقسيمات ثلاثة باعتبارات مختلفة :

فتنقسم أولاً باعتبار الصحة وعدمها إلى : صحيح ، وضعيف - ومن الضعيف : الموضوع .

فمثال الصحيح ما أخرجه ابن كثير فى تفسيره عن ابن جرير قال : « حدثنا المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح عن هلال بن علىّ ، عن عطاء بن يسار قال : لقيتُ عبد اللّه بن عمرو فقلت : أخبِرْنى عن صفة رسول اللّه ﷺ فى التوراة ، قال : أجل ، واللّه إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولن يقبضه اللّه حتى يقيم به الملّة العوجاء ، بأن يقول : لا إله إلا اللّه ، ويفتح اللّه به قلوبا غُلْفاً وآذاناً صُماً ، وأعيناً عُمياً ، قال عطاء : ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته : قلوباً غلوفياً ، وآذانا صموميا ، وأعيناً عموميا ».

وقد علّق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله : « وقد رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سنان ، عن فليح ، عن هلال بن علىّ ، فذكر بإسناده نحوه ، وزاد - بعد قوله « ليس بفظ ولا غليظ » : ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح » [1] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٥٣ - ط التجارية - عند تفسير قوله تعالى فى الآية (١٥٧) من سورة الأعراف : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ... ﴾ وأخرج الحديثَ البخَارى فى كتاب البيوع ، باب « كراهة السخب فى الأسواق » ، وفى كتاب التفسير ، باب : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ .

ومثال الضعيف : الأثر الذى رواه أبو محمد بن عبد الرحمن عن أبى حاتم الرازى ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره لكلمة ﴿ ق ﴾ فى أول سورتها ، وقال : إنه أثر غريب لا يصح ، وعدَّه من خرافات بنى إسرائيل ، ونص الأثر : « قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، قال : حُدِثْتُ عن محمد بن إسماعيل المخزومى ، حدثنا ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له « قاف » ، سماء الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له « قاف » . السماء الثانية مرفوعة عليه ... حتى عَدَّ سبع أرضين ، وسبعة أبحر ، وسبعة أجبل ، وسبع سموات ، قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ ا . هـ (١) .

قال ابن كثير - معلقاً على هذا الأثر علاوة على تعليقه السابق - : « فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع » ثم قال : الذى رواه علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس - رضى الله عنهما فى قوله عز وجل : ﴿ ق ﴾ هو اسم من أسماء الله عز وجل ، والذى ثبت عن مجاهد : أنه حرف من حروف الهجاء ، كقوله تعالى : ﴿ ص - ن - طس - ألم ﴾ ونحو ذلك ، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما »(٢)

وتنقسم الإسرائيليات ثانياً باعتبار موافقتها لما فى شريعتنا ومخالفتها له إلى ثلاثة أقسام :

موافق لما فى شريعتنا ، ومخالف له ، ومسكوت عنه : ليس فى شرعنا ما يؤيده ولا ما يفنده .

فمثال الأول - وهو ما جاء موافقاً لما فى شريعتنا - ما رواه البخارى ومسلـم ، واللفظ للبخارى قال :

---

(١) لقمان : ٢٧

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢١

« حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا اللّيث عن خالد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خَبْزَة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خَبْزَته فى السفر ، نُزُلاً لأهل الجنة » ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنُزُل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خَبْزَة واحدة - كما قال النبى ﷺ - فنظر النبي ﷺ إلينا - ثم ضحك حتى بدت نواجذه ... »[١] .

ومثال الثانى - وهو ما جاء مخالفاً لما فى شريعتنا - ما نقلناه سابقاً عن سِفر الخروج من أن هارون عليه السلام هو الذى صنع العجل لبنى إسرائيل ودعاهم إلى عبادته ، وما نقلناه عن سِفر التكوين من أن اللّه فرغ فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع . وما رواه ابن جرير فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾[٢] من قصة صخر المارد الذى قعد على عرش سليمان عليه السلام وسُلِطَ على مُلكه حتى لا يراه الناس إلا سليمان عليه السلام ، وأن هذا الشيطان - كما فى رواية ابن جرير عن أبى حاتم - سُلِطَ على نساء سليمان فكان يباشرهن وهن حُيَّض ، وكن ينكرن ذلك عليه معتقدات أنه سليمان عليه السلام .

ومثال الثالث - وهو ما سكت عنه شرعنا وليس فيه ما يؤيده أو يفنده - ما رواه ابن كثير عن السدى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً .. ﴾ ... الآيات (٦٧) وما بعدها إلى آخر القصة فى سورة البقرة . ونصه :

« كان رجل من بنى إسرائيل مكثراً من المال فكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاج ، فخطب إليه ابن أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه ، فغضب الفتى وقال :

---

(١) صحيح البخارى « كتاب الرقاق » باب «يقبض اللّه الأرض» جـ ٨ ص ١٠٨ ط . الخيرية .

(٢) سورة ص : ٣٤

والله لأقتلن عمى ، ولآخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولآكلن ديَّته ، فأتاه الفتى - وقد قدم تجار فى بعض أسباط بنى إسرائيل - فقال : ياعم ، انطلق معى فخذ لى من تجارة هؤلاء القوم لعلى أن أصيب منها ، فإنهم إذا رأوك معى أعطونى ، فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدرى أين هو فلم يجده ، فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمى فأدُّوا إلىّ ديته ، فجعل يبكى ويحثو التراب على رأسه وينادى : واعماه ، فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالديَّة ، فقالوا له : يا رسول الله ، ادع لنا ربك حتى يُبيِّن لنا مَن صاحبه فيؤخذ صاحب القضية . فوالله إن ديَّته علينا لهينة ، ولكن نستحى أن نُعَيَّر به ، فذلك حين يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ، وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ا . هـ [١] .

وتنقسم الإسرائيليات - ثالثاً - باعتبار موضوع الخبر الإسرائيلى ، إلى أقسام ثلاثة :

ما يتعلق بالعقائد ، وما يتعلق بالأحكام ، وما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التى لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة .

فمثال الأول - وهو ما يتعلق بالعقائد - ما رواه البخارى فى كتاب التفسير ، فى باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [٢] ونصه :

« حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنَّا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلائق على أصبع

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٩ - ط . التجارية - والآية من سورة البقرة : ٧٢

(٢) فى الآية (٦٧) من سورة الزمر ، وتمام الآية : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

فيقول : أنا الملك ، فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر ، ثم قرأ رسول اللّه ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ اهـ [1] .

ومثال الثانى – وهو ما يتعلق بالأحكام – ما رواه البخارى فى كتاب التفسير : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [2] ونصه :

---

(١) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) جـ ٨ ص ٢٨٩ – ط . الخيرية . وقد كثر كلام العلماء حول قول الراوى : « فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر » فمنهم من ذهب إلى أن ضحك النبى ﷺ من قول الحبر لم يكن تصديقاً له كما فهم الراوى وصرح به فى هذه الرواية ، وإنما كان تعجباً وإنكاراً لقول اليهودى المفيد للتجسيم والتشبيه ، وممن ذهب إلى هذا الإمام الخطابى ، فقد نقل عنه ابن حجر فى شرحه على البخارى ما نصه : « وقال الخطابى : لم يقع ذكر الأصبع فى القرآن ولا فى الحديث مقطوع به ، وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم فى ثبوتها الأصابع ، بل هو توقيف أطلقه الشارع فلا يُكيَّف ولا يُشبَّه ، ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودى ، فإن اليهود مشبهة ، وفيما يدعونه من التوراة ألفاظ تدخل فى باب التشبيه ولا تدخل فى مذاهب المسلمين . وأما ضحكه ﷺ من قول الحبر ، فيحتمل الرضا والإنكار . وأما قول الراوى : « تصديقاً له » فظن منه وحسبان ، وقد جاء الحديث من عدة طرق ليس فيها هذه الزيادة ، وعلى تقدير صحتها فقد يستدل بحمرة الوجه على الخجل ، وبصفرته على الوجل ، ويكون الأمر بخلاف ذلك ، فقد تكون الحمرة لأمر حدث فى البدن كثوران الدم ، والصفرة لثوران خلط من مرار وغيره . وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظاً فهو محمول على تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أى قدرته على طيها وسهولة الأمر عليه فى جمعها ، بمنزلة مَن جمع شيئاً فى كفه واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه بل يقله ببعض أصابعه ، وقد جرى فى أمثالهم : « فلان يقل كذا بأصبعه ، ويعمله بخنصره » قال ابن حجر : « وقد تعقب بعضهم إنكاره ورود الأصابع لوروده فى عدة أحاديث ، كالحديث الذى أخرجه مسلم : « إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن » ، ولا يرد عليه ، لأنه إنما نفى القطع . (انتهى من فتح البارى جـ ١٣ ص ٣١ ط . الخيرية) .

وقد نقل ابن حجر – فى موضع آخر من فتح البارى – عن ابن التين أنه قال : « تكلف الخطابى فى تأويل الأصبع ، وبالغ حتى جعل ضحكه ﷺ تعجباً وإنكاراً لما قال الحبر ورد ما وقع فى الرواية الأخرى : « فضحك رسول اللّه ﷺ تعجباً وتصديقاً » بأنه على قدر ما فهم الراوى . قال النووى : وظاهر السياق أنه ضحك تصديقاً له ، بدليل قراءة الآية التى تدل على صدق ما قال الحبر ، والأولى فى هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه ، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد » (انتهى من فتح البارى جـ ٨ ص ٣٨٩ ط . الخيرية) .

(٢) آل عمران : ٩٣

« حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أبو ضمرة ، حدثنا موسى بن عقبة عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن اليهود جاءوا إلى النبى ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم : كيف تفعلون بمن زنىَ منكم ؟ قالوا : نحممهما [(١)] ونضربهما ، فقال : لا تجدون فى التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فوضع مدراسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم فقال : ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هى آية الرجم ، فأمر بهما فرُجما قريباً من حيث موضع الجنائز ، قال : فرأيتُ صاحبها يجنأ [(٢)] عليها يقيها الحجارة »[(٣)] .

ومثال الثالث - وهو ما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التى لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة - ما أورده الحافظ ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الذِّينَ ظَلَمُواْ ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [(٤)] . ونصه :

« وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة : أن الله أمره - يعنى نوحاً عليه السلام - أن يصنعها - أى السفينة - من خشب الساج ، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعاً ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وأن يطلى باطنها وظاهرها بالقار ، وأن يجعل لها جؤجؤاً أزور يشق الماء » ا . هـ [(٥)] .

---

(١) نحممهما : قيل : معناه نسكب عليهما الحميم وهو الماء الحار . وقيل : معناه نسوِّد وجوههما .

(٢) يجنأ : معناه : يميل عليها ، وجاء فى بعض الروايات يحنى - بالحاء المهملة - والمعنى واحد ، فهو يميل وينحنى عليها ليقيها الحجارة كما صرح به فى الحديث .

(٣) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) جـ ٨ ص ١٥٦ ط . الخيرية .

(٤) هود : ٣٧

(٥) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٤٤ ط . التجارية .

وبعد .. فهذه هى أقسام الإسرائيليات بالنسبة لكل اعتبار من الاعتبارات المذكورة ، وواضح كل الوضوح أنها متداخلة ويمكن إرجاع بعضها إلى بعض ، كما يمكن أن نُدخلها تحت الأقسام الثلاثة الآتية :

مقبول ، ومردود ، ومتردد بين القبول والرد ، وكل له فى باب الرواية حكم نوضحه فيما يلى ..

* * *

ثانياً - حكم رواية الإسرائيليات :

قبل أن نتكلم عن حكم رواية الإسرائيليات ، نرى أن نمهد لذلك بذكر أهم ما ورد من النصوص الشرعية وما يلحق بها من المأثورات عن الصحابة فى شأن روايتها ... نبدأ بأدلة المنع . ثم بأدلة الإباحة ، ثم نوفق بينهما بما يدفع تعارضهما ، ويوضح أمامنا الرؤية لمعرفة كلمة الحق فى حكم روايتها .

(أولا) أدلة المنع :

١ - ما جاء فى القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن اليهود والنصارى بدّلوا كتبهم ، وحرّفوها ، وأخفوا الكثير منها ، مما أذهب الثقة فيها وفيما يُحَدِّثون به منها ، وبدهى أن ما لا يوثق به لا تجوز روايته - وقد سبق أن عرضنا للآيات القرآنية الدالة على التحريف والتبديل فى ص .

٢ - ما رواه البخارى فى صحيحه قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عثمان بن عمر ، أخبرنا علىّ بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبوهم ، وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ... الآية »[1] .

---

(١) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) فى كتاب « التفسير » - باب : ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ جـ ٨ ص ١٢٠ . - والآية من سورة البقرة : ١٣٦

ومعنى هذا عدم الثقة بما يُحَدِّث به أهل الكتاب عن التوراة ، وكذا عن غيرها من باب أولى ، وما لا يوثَق به لا تجوز روايته .

٣ - ما أخرجه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزار من حديث جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه عليه فغضب فقال : « أمُتَهَوِكونَ [١] فيها يابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فُتَكَذِّبوا به . أو بباطل فتُصَدِّقوا به ، والذى نفسى بيده ، لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى » [٢] .

٤ - ما رواه البخارى فى صحيحه قال : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا اللّيث عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . قال : « يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله ، تقرأونه لم يشب ، وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا ، هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم منِ العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذى أُنزِل عليكم » [٣] .

---

(١) المتهوك : المتحير الشاك .

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٣٨٧ ط . الميمنية - والحديث جاء من طرق متعددة فى إسناد بعضها - عند عبد الرزاق - جابر الجعفى ، وهو ضعيف . وفى إسناد آخر - عند أحمد - مجالد ابن سعيد ، وهو لين . وفى إسناد ثالث - عند الطبرانى - مجهول . وفى إسناد رابع - عند الطبرانى أيضاً - عبد الرحمن بن إسحاق الواسطى ، وهو ضعيف . قال ابن حجر - بعد ما ساق طرق الحديث : « وهذه جميع طرق الحديث ، وهى وإن لم يكن فيها ما يُحْتَج به لكن مجموعها يقتضى أن لها أصلاً » - انظر بقية كلام ابن حجر فى فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٠٤ ط . الخيرية .

(٣) صحيح البخارى « كتاب الشهادات » - باب « لا يُسئل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها » جـ ٣ ص ١٨١ - ط . الخيرية .

٥ - ما أخرجه عبد الرزاق فى مسنده من طريق حريث بن ظهير قال : قال عبد الله - يعنى ابن مسعود - « لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتُكَذِّبوا بحق أو تُصَدِّقوا بباطل » ، وأخرجه سفيان الثورى من هذا الوجه بلفظ قريب من لفظ رواية عبد الرزاق ، قال ابن حجر : وسنده حسن (١) .

(ثانيا) أدلة الجواز :

١ - ما ورد فى القرآن من الآيات الدالة على جواز الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم عما فى أيديهم ، فمن ذلك :

قوله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٢) .

فقد أباح الله لنبيه ﷺ أن يسأل أهل الكتاب ، وكذلك أباح لأُمته أن يسألوهم ، لما هو مقرر شرعاً من أن أمر الله لنبيه ﷺ أمر له ولأُمته ما لم يقم دليل على الخصوصية - والأمر هنا للإباحة كما هو ظاهر .

وقوله تعالى - مخاطباً نبيه أيضاً - : ﴿ .. قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) - وهذا صريح فى جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها .

---

(١) انظر فتح البارى جـ ١٣ ص ٢٥٩

(٢) فى الآية (٩٤) من سورة يونس عليه السلام . والمراد : « إن كنت فى شك » على سبيل الفرض والتقدير ، إذ الشك لا يَتصوَّر منه أصلاً ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام - كما جاء فى مسند عبد الرزاق - : « لا أشك ولا أسأل » ، ومن هنا جاء التعبير بـ « إن » التى تستعمل - غالباً - فيما لا تحقق له ، بل وتستعمل فيما يستحيل عادة وعقلاً ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾ (الآية ٨١ من سورة الزخرف) . وقيل : الخطاب للنبى ﷺ ، والمراد به أمته ، على حد قوله : « إياك أعنى واسمعى يا جارة » والمعنى : مَن كان فى شك مما أنزلنا إليك فليسأل عن ذلك علماء أهل الكتب السابقة ، ففيها ما يشهد بصدق المنزَّل عليك وحقيته .

(٣) آل عمران : ٩٣

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الذِّينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ، قُلْ كَفَى بِاللَّه شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ [(١)] - والمراد بمن عنده علم الكتاب - على ما هو الراجح من أقوال المفسرين - عبد اللّه بن سلام ، أو كل مَن كان عالماً بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب ، وفى ذلك إباحة الرجوع إليهم. وفى معنى هذه الآية قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. ﴾ [(٢)] .

٢ - ما رواه البخارى فى صحيحه قال : حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، أخبرنا الأوزاعى ، حدثنا حسان بن عطية ، عن أبى كبشة السلولى ، عن عبد اللّه بن عمرو ، أن النبى ﷺ قال : « بلّغوا عنى ولو آية ، وحَدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج ، ومَن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[(٣)] .

٣ - ما ثبت من أن النبى ﷺ استمع لبعض اليهود وهم يتلون التوراة ، ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى عبد اللّه بن مسعود قال : « إن اللّه عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة . فدخل الكنيسة فإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة . فلما أتوا على صفة النبى ﷺ أمسكوا - وفى ناحيتها رجل مريض - فقال النبى ﷺ : مالكم أمسكتم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبى فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبى ﷺ وأُمته ، فقال : هذه صفتك وصفة أُمتك ، أشهد أن لا إلٰه إلا اللّه ، وأنك رسول اللّه »[(٤)] .

فقول الرسول ﷺ لهم : « ما لكم أمسكتم » ؟ ثم استماعه للرجل المريض وهو يقرأ التوراة فى رضا وعدم إنكار عليه ، دليل على إباحة الأخذ عن كتب أهل الكتاب .

---

(١) الرعد : ٤٣ (٢) الأحقاف : ١٠ .

(٣) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) - كتاب « أحاديث الأنبياء » - باب : « ما ذكر عن بنى إسرائيل » - جـ ٦ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٤١٦

٤ - ما ثبت من رجوع بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عن بعض ما جاء فى كتبهم ، كأبى هريرة ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهم ، وما ثبت من أن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يُحَدِّث منهما [١] .

* * *

• التوفيق بين أدلة المنع وأدلة الإباحة :

وللتوفيق بين ما سقناه من أدلة ظاهرها المنع من الرواية عن أهل الكتاب وأدلة أخرى ظاهرها الإباحة نقول :

١ - الحق أن دين الإسلام دين معرفة واسعة ، ومعارفه ليست مقصورة على ما يدور فى فلك المسلمين وحدهم من تشريعات خاصة ، ووقائع تتصل بتاريخ حياتهم وجهادهم الطويل ، وإنما تمتد معارفه إلى معارف أمم سالفة ، وديانات سابقة ، تأخذ منها الحق لتؤيد به حقها ، وتلفظ منها الباطل الذى لا يتفق وهَديها .

وإذا نحن نظرنا فى القرآن الكريم ، وجدنا من آياته البيِّنات ما يدعو بنى الإسلام وجماعة المسلمين إلى أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ليسألوهم عن بعض الحقائق التى جاءت فى كتبهم ، وجاء بها الإسلام فأنكروها ، أو أغفلوها ، ليقيم عليهم الحجة ولعلهم يهتدون .

ومن هذه الآيات الدالة على إباحة رجوع النبى ﷺ ومَن تبع دينه من المسلمين إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن بعض ما عندهم من الحقائق :

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذَّينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ ﴾[٢] .

---

(١) مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير ص ٢٦ ط . الترقى بدمشق .

(٢) يونس : ٩٤ . وقد مر تفسيرها فى هامش ص ٤٣

وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيَ إِلَيْهِمْ ، فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) يريد أهل الكتب السابقة .. اسألوهم : أبشراً كان الرسل اليهم أم ملائكة ؟

وقوله : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ؟ (٢) ومعناه : واسأل أممهم وعلماء دينهم ، كقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قال الفرّاء – مبيناً وجه المجاز فى الآية – هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل ، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم السـلام .

وقوله : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (٣) . والمعنى : واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر اللّه ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم فى المخالفة ، وحَذِّر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها فى كتبهم ، لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم (٤) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً ﴾ (٥) . والخطاب فى الآية لرسـول اللّه ﷺ ، أى فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقيناً ، أو ليظهر صدقك (٦) .

وقوله : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ .. ﴾ (٧) ، والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك ، وتقرير لمجيء البينات .

---

(١) الأنبياء : ٧ ، وفى معناها الآية ٤٣ من سورة النحل .

(٢) الزخرف : ٤٥ (٣) الأعراف : ١٦٣

(٤) قاله ابن كثير فى تفسيره جـ ٢ ص ٢٥٧ . ط : التجارية .

(٥) الاسراء : ١٠١

(٦) قاله أبو السعود فى تفسيره جـ ٣ ص ٢٣٥ . ط . المصرية .

(٧) البقرة : ٢١١

٢ - قص علينا القرآن الكريم كثيراً من أخبار بنى إسرائيل وغيرهم من الأمم السابقة ، ومن ذلك :

قصة قتيل بنى إسرائيل الواردة فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ... إلى قوله : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ، كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

وقصة أمر موسى لقومه أن يدخلوا الأرض المقدسة ، وما كان من هلعهم وجبنهم ، ثم دخولهم أرض التيه ، فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .. إلى قوله : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ، أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

وقصة ابنى آدم - هابيل وقابيل - الواردة فى قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ .. إلى قوله : ﴿ قَالَ يَاوَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٣) .

وقصة المائدة فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؟ إلى ... قوله : ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

وقصة أصحاب الأخدود فى سورة البروج .

كذلك قص علينا رسول الله ﷺ كثيراً من أخبار بنى إسرائيل فمن ذلك :

---

(١) البقرة : ٦٧ - ٧٣

(٢) المائدة : ٢٠ - ٢٦

(٣) المائدة : ٢٧ - ٣١

(٤) المائدة : ١١٢ - ١١٥

حديث الأبرص والأعمى والأقرع عند البخارى عن أبى هريرة : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بنى إسرائيل : أبرص ، وأعمى ، وأقرع ، بدا لله عز وجل أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً » ... إلى آخر الحديث [١] .

ومن ذلك أيضاً : حديث الغار عند البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم » ... إلى آخر الحديث [٢] .

ومن ذلك أيضاً قصة جريج العابد عند البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له « جريج » ، كان يصلى ، جاءته أمه فدعته ، فقال : أجيبها أو أصلّى ؟ فقالت : اللّهم لا تُمته حتى تُريه وجوه المومسات » ... إلى آخر الحديث [٣] .

٣ - كل ما تقدَّم من أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بسؤال أهل الكتاب يدل على جواز الرجوع إليهم ، ولكن لا فى كل شىء ، بل فيما لم تصل له يد التحريف والتبديل من الحقائق التى تُصَدِّق القرآن وتُلزم المعاندين منهم ومن غيرهم الحجة ، فإن هم أبرزوا ما عندهم على نحو ما جاء عن الله تعالى قامت الحجة ، وإن هم حاولوا إخفاءه وكتمانه نبَّه الله نبيه عليه الصلاة والسلام إلى صنيعهم فحال بينهم وبين ما يقصدون ، كما كان من شأنه عليه الصلاة والسلام معهم حينما أرادوا أن يخفوا عنه ما فى التوراة من رجم الزانى المحصن .

وكل ما جاء فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف من قصص عن أهل الكتاب وعن غيرهم من الغابرين لم يكن إلا حقاً وصدقاً ، ووحياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هو بعد ذلك لم يذكر لمجرد اللّهو والعبث كما

---

(١) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) - « كتاب الأنبياء » - باب « ما ذكر عن بنى إسرائيل » جـ ٦ ص ٣٢٢ - ٣٢٣

(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص ٣٢٥ - ٣٢٨

(٣) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) - « كتاب الأنبياء » - باب : ﴿ وَاذْكُرْ فِى الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ... ﴾ جـ ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٧

يفعل القصّاص العابثون ، وإنما ذُكِرَ عبرة وعظة لسامعيه ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

ومفاد هذا أنه يجوز أن نُحَدِّث عنهم بما نقطع بصدقه ومن أجل أن نأخذ منه العظة والعبرة .

٤ - ما في كتب أهل الكتاب بعد تحريفها وتبديلها ، وما يُحَدِّث به علماؤهم - وهم يخطئون ويصيبون ، ويكذبون ويصدقون - لا يمكن أن يُخدع به النبي ﷺ ، وإنما يمكن أن يُخدع به غيره من جماعة المسلمين ، فلهذا لا يجوز لمسلم أن يقبل ما يُحَدِّثون به على إطلاقه ، ولا أن يرده على إطلاقه ، بل يقبل منه ما جاء موافقاً لما في القرآن أو السُنَّة لأن هذه الموافقة دليل على أنه مُسَلَّم من التحريف والتبديل ، ويرد منه ما جاء مخالفاً لما في القرآن والسُنَّة ، أو كان لا يتفق مع العقل ، لأن هذه المخالفة دليل على أنه مما تطرق إليه التحريف والتبديل .

وعلى هذا فما جاء موافقاً لما في شرعنا تجوز روايته ، وعليه تُحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب ، وعليه أيضاً يُحمل قوله عليه الصلاة والسلام : « حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج » إذ المعنى : حَدِّثوا عنهم بما تعلمون صدقه .

وأما ما جاء مخالفاً لما في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل ، فلا تجوز روايته لأن إباحة الله الرجوع إلى أهل الكتاب ، وإباحة الرسول ﷺ للحديث عنهم ، لا تتناول ما كان كذباً ، إذ لا يعقل أن يُبيح الله ولا رسوله رواية المكذوب أبداً .

وأما ما سكت عنه شرعنا ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً ، فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نُصَدِّقه ولا نُكَذِّبه ، وعلى هذا يُحمل قول النبي ﷺ : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تكَذِّبوهم » . أما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم ، لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة من قوله عليه الصلاة والسلام : « حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج » .

---

(١) يوسف : ١١١

٥ - ثم إذا جاء شيء من هذا القسم الثالث - وهو ما سكت عنه شرعنا ولم يكن فيه ما يؤيده ولا ما يفنده - عن أحد الصحابة غير مَن أسلم من أهل الكتاب وغير مَن اشتهروا بالأخذ عنهم ، وكان ذلك بطريق صحيح ، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول : يُقْبَل ولا يُرَد ، لأنه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب ثم يجزم بصدقه بعد ما علم من نهى رسول اللّه ﷺ عن تصديقهم فى مثل ذلك بقوله : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم » .

وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله ، لأن احتمال أن يكون الصحابى الذى لم يشتهر بالأخذ عن أهل الكتاب قد سمعه من النبى ﷺ أقوى من احتمال سماعه له من أهل الكتاب ، ولا سيما بعد ما تقرر من أن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً بالنسبةِ لغيرهم من التابعين ومَن يليهم .

أما إن جاء شيء من هذا الذى سكت عنه شرعنا وكان محتملاً للصدق والكذب عن بعض التابعين ، فحكمه أن يتوقف فيه ، فلا يحكم عليه بصدق ولا بكذب ، وذلك لقوة احتمال سماعه من أهل الكتاب ، لما عُرِفوا به من كثرة الأخذ عنهم ، وبعد احتمال كونه مما سمع من رسول اللّه ﷺ ، وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء التفسير على ذلك ، أما إن اتفقوا عليه فإنه يكون أبعد من أن يكون مسموعاً من أهل الكتاب . وحينئذ تسكن النفس إلى قبوله [(١)] .

٦ - ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبى هريرة وابن عباس كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عما فى كتبهم ، وما روى من أن عبد اللّه بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يُحَدِّث منهما ، لا يعارض ما رواه البخارى عن ابن عباس من إنكاره على مَن يسألون أهل الكتاب بقوله : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل اللّه على نبيه ﷺ أحدث الأخبار باللّه .. » إلخ ، ولا ما رواه

---

(١) انظر مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٧٩

عبد الرزاق فى مسنده عن ابن مسعود من نهيه عن سؤال أهل الكتاب بقوله : « لا تسألوا أهل الكتاب ، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلّوا أنفسهم » إلخ ، ولا ما رواه الإمام أحمد من إنكار الرسول ﷺ على عمر رضى اللّه عنه لما آتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب بقوله : « أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يابن الخطاب » ؟

نعم لا تعارض بين هذا وذاك ، لأن صحابة رسول اللّه ﷺ كانوا أعرف الناس بأمور دينهم ، وأبو هريرة وابن عباس وغيرهما ممن كانوا يرجعون إلى بعض مَن أسلم من أهل الكتاب كان لهم منهج سديد ، ومعيار دقيق فى قبول ما يُلْقَى إليهم من الإسرائيليات ، فما وافق شرعنا صدّقوه ، وما خالفه كذّبوه ، وما كان مسكوتاً عنه توقفوا فيه .

ثم إنهم ما كانوا يرجعون إليهم فى كل شىء ، وإنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث والأخبار ، ولم يُعرف عنهم أنهم رجعوا إليهم فى العقائد ولا فى الأحكام ، لثقتهم بأن ما عندهم يكفيهم عن سؤالهم ، وإذا ثبت أنهم سألوا أهل الكتاب عن شىء من العقائد فما كان ذلك عن تهوك وارتياب منهم ، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم ، وإقناعهم بصدق ما عندنا بتصديق ما عندهم له وما كان يُخشى من سؤالهم خطر على عقائد الصحابة ولا على أفكارهم بعد ما استقرت أُصول الشريعة ورست قواعدها .

أما إنكار الرسول ﷺ وإنكار الصحابة على مَن كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب ، فقد كان فى مبدأ الإسلام وقبل استقرار الأحكام ، مخافة التشويش على عقائدهم وأفكارهم ، قال الحافظ ابن حجر : « وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك ، لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار »[1] .

---

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٢ .

أقول : وما دام المنع من الأخذ عن أهل الكتاب - أول الأمر - كان علّته خوف الفتنة ، والعلّة - كما هو مقرَّر شرعاً - تدور مع المعلول وجوداً وعدماً ، فلا يجوز لمن يُخشى عليه غائلة الإسرائيليات اليوم أن يأخذ عن مصادر كتابية أو يروى عنها ، أما مَن كان له فى العلم قدم راسخة ، وبصيرة نيِّرة ، يستشف بها الحق مَن الباطل ، ويميز بها الخبيث من الطيب ، فلا عليه أن يأخذ منها أو يروى عنها فى حدود المنهج الشرعى الذى ذكرناه ، كما كان يفعل مَن يرجع إلى أهل الكتاب من الصحابة ، وكما كان ينهج عبد اللّه بن عمرو بن العاص وهو يُحَدِّث من زاملتيه اللّتين أصابهما يوم اليرموك .

* * *

● وخلاصة القول فى حكم رواية الإسرائيليات :

أن ما جاء موافقاً لما فى شرعنا صدَّقناه ، وجازت روايته ، وما جاء مخالفاً لما فى شرعنا كذَّبناه وحَرُمت روايته إلا لبيان بطلانه ، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه : فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب ، وتجوز روايته ، لأن غالب ما يُرْوَى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار ، لا إلى العقائد والأحكام ، وروايته ليست إلا مجرد حكاية له كما هو فى كتبهم أو كما يُحدِّثون به بصرف النظر عن كونه حقاً أو غير حق . ونرى بعد هذا أن نذكر مقالة ابن تيمية ، ومقالة البقاعى فى حكم رواية الإسرائيليات إتماماً للفائدة .

● مقالة ابن تيمية :

يقول ابن تيمية فى مقدمته فى أصول التفسير (ص ٢٦ - ٢٨) بعد أن ذكر أن عبد اللّه بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يُحَدِّث منهما بما فهمه من حديث : « بَلِّغوا عنى ولو آية ، وحَدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج » من الإذن فى روايتها ، يقول بعد ذلك ما نصه :

« ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

الثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نُكَذِّبه ، وتجوز حكايته لما تقدم - يعني « حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج » - وغالب ذلك ما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب أهل الكهف ولون كلبهم ، وعدتهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضُربَ به المقتول من البقرة ، ونوع الشجرة التي كَلَّم الله منها موسى ، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلَّفين في دنياهم ولا دينهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ، قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ، فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً ﴾ (١) .

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعَّف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما ، ثم أرشد إلي أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فيقال في مثل هذا : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ، ممن أطلعه الله عليه .

فلهذا قال : ﴿ فَلاَ تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً ﴾ أي لا تُجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب . فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ،

(١) الكهف : ٢٢

وأن يُنَبِّه على الصحيح منها ويُبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته ، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الأهم . فأما مَن حكى خلافاً فى مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه . ومَن يحكى الخلاف ويُطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً ، فإن صحح غير الصحيح عامداً تعمد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ . كذلك مَن نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيَّع الزمان ، وأكثر مما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبى زور ... والله الموفق للصواب » ا هـ .

● مقالة البقاعى :

ويقول البقاعى فى كتابه « الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » ورقة (٣٤) من نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ما نصه :

« حكم النقل عن بنى إسرائيل ولو كان فيما لا يُصَدِّقه كتابنا ولا يُكَذِّبه الجواز ، وإن لم يثبت ذلك المنقول ، وكذا ما نُقِلَ عن غيرهم من أهل الأديان الباطلة ، لأن المقصود : الاستئناس لا الاعتماد ، بخلاف ما يُستَدل به فى شرعنا ، فإنه العمدة فى الاحتجاج للدين فلا بد من ثبوته ، فالذى عندنا من الأدلة ثلاثة أقسام : موضوعات ، وضعاف ، وغير ذلك ، فالذى ليس بموضوع ولا ضعيف مطلق ضعف ، يورد للحجة .

والضعيف المتماسك ، للترغيب . والموضوع يذكر لبيان التحذير منه بأنه كذب ، فإذا وازنتَ ما ينقله أئمتنا عن أهل ديننا للاستدلال لشرعنا بما ينقله الأئمة عن أهل الكتاب ، سقط من هذه الأقسام الثلاثة فى النقل عنهم ما هو للحجة ، فإنه لا ينقل عنهم ما يثبت به حكم من أحكامنا [1] ، ويبقى ما

---

(١) وقد أوضح البقاعى العلة فى أنه لا ينقل عن أهل الكتاب ما يثبت به حكم من أحكامنا بقوله : « وهذه الأحاديث الناهية ، فى إثبات حكم ليس فى شرعنا دليل عليه حتى يكون هداية لنا ممن أضل نفسه إلى شىء لم يهدنا شرعنا إليه ، وحتى يكون اتباعاً لموسى عليه السلام وتركاً لنبينا ﷺ ، وحتى يكون زيادة فيما عندنا لم تكن فى شرعنا قبل ذلك . وحتى تكون تهوكاً - أى تحيراً - كما فى بعض طرق حديث جابر رضى الله عنه - ليلزم عنه أن شرعنا ناقص ومحتاج إلى غيره » (انتهى من الأقوال القويمة فى حكم النقل عن الكتب القديمة - ورقة ٣٣) .

يصدقه كتابنا فيجوز نقله وإن لم يكن فى حيز ما يثبت فى حكم الموعظة لنا . وأما ما كذّبه كتابنا ، فهو كالموضوع لا يجوز نقله إلا مقرونا ببيان بطلانه » ا.هـ .

* * *

ثالثاً - أشهر رواة الإسرائيليات :

وقد اشتُهِر برواية الإسرائيليات فى رحلة الرواية جماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ونرى أن نعرض لأشهر مَن عُرِفَ برواية الإسرائيليات من الصحابة ، ثم لأشهر مَن عُرِفَ بروايتها من التابعين ، ثم لأشهر مَن عُرِفَ بروايتها من أتباع التابعين .

١ - أشهر مَن عُرِفَ برواية الإسرائيليات من الصحابة :

لا شك أن صحابة رسول اللّه ﷺ كانوا أحرص الناس على امتثال أوامر رسول اللّه ﷺ وتوجيهاته . وبخاصة ما كان يرجع من ذلك إلى أمر دينهم .

ولا شك أن نفراً منهم كانوا يرجعون إلى بعض مَن أسلم من أهل الكتاب ، يأخذون عنهم بعض ما عندهم من جزئيات الحوادث التى عرضت لها كتبهم بتفصيل ، وعرض لها القرآن الكريم بإيجاز وإجمال .

غير أن الصحابة - رضوان اللّه عليهم - كانوا فى رجوعهم إلى أهل الكتاب يسيرون على المنهج القويم الذى رسمه لهم رسول اللّه ﷺ ، وكان فى عقولهم ذلك الميزان الشرعى الدقيق الذى استخلصوه من أحاديث رسول اللّه ﷺ فى شأن الرجوع إلى أهل الكتاب ، فلم يكن سؤالهم لأهل الكتاب عن كل شىء ، ولم يكونوا يُصدِّقونهم فى كل شىء - كما يقول أعداء الإسلام ومَن جرى ويجرى فى ركابهم من المسلمين - بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً لقصة من قصص القرآن ، وبياناً لما أجمل منها . فإن ألقوا إليهم بشىء من ذلك تلقوه فى حرص وحذق ، وتفرسوه فى دقة وروية فما كان منه على وفق شرعنا صدَّقوه ، وما كان على خلافه كذَّبوه ورفضوه ، وما كان مسكوتاً عنه فى شرعنا ومتردداً بين احتمال الصدق والكذب توقفوا فيه فلا

يحكمون عليه بصدق ولا بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين ، امتثالاً لقول رسول الله ﷺ : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أُنْزِلَ إلينا .. » ... الآية .

كذلك لم يسأل الصحابة - رضوان الله عليهم - أهل الكتاب عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام التى شرع الله لهم ، اكتفاء بما عندهم فى ذلك ، اللَّهم إلا ما كان من سؤالهم لغرض الاستشهاد والتأكيد لما جاء به القرآن الكريم ، وإلزام المعاندين الحجة بشهادة ما فى أيديهم من الكتاب .

كذلك كان الصحابة لا يعدلون عما ثبت عن رسول الله ﷺ من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب ، لأنه إذا ثبت الشيء عن الرسول ﷺ فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره ، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التى يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللَّهو والعبث ، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ، والبعض الذى ضُرِبَ به قتيل بنى إسرائيل من البقرة ، ومقدار سفينة نوح ونوع خشبها ، واسم الغَلام الذى قتله الخضر ... وغير ذلك ، ولهذا قال الدهلوى بعد أن بيَّن أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لا يعنى : « وكانت الصحابة رضى الله عنهم يعدون مثل ذلك قبيحاً ومن قبيل تضييع الأوقات » [(١)] .

ولقد بلغ الأمر بالصحابة أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ ردوا عليهم خطأهم ، وبيَّنوا لهم وجه الصواب فيه ، فمن ذلك ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يُصَلِّى يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه » - وأشار بيده يقللها [(٢)] .

---

(١) الفوز الكبير فى أصول التفسير للدهلوى ص ٣٥ ط . المنيرية .

(٢) صحيح البخارى فى « كتاب الجمعة » - باب « الساعة التى فى يوم الجمعة » ج ٢ ص ١٣ ط . الخيرية .

فقد اختلف السَلَف فى تعيين هذه الساعة ، وهل هى باقية أو رُفِعت ؟ وإذا كانت باقية فهل هى فى جمعة واحدة من السنة أو فى كل جمعة منها ، فنجد أبا هريرة رضى اللّٰه عنه يسأل كعب الأحبار عن ذلك ، فيجيبه كعب بأنها فى جمعة واحدة من السنة ، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ، ويبيِّن له أنها فى كل جمعة ، فيرجع كعب إلى التوراة فيرى الصواب مع أبى هريرة رضى اللّٰه عنه فيرجع إليه [(١)] .

كما نجد أبا هريرة أيضاً يسأل عبد اللّٰه بن سلام عن تحديد هذه الساعة ويقول له : أخبرنى ولا تضن علىّ ، فيجيبه عبد اللّٰه بن سلام بأنها آخر ساعة فى يوم الجمعة ، فيرد عليه أبو هريرة بقوله : كيف تكون آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول اللّٰه ﷺ : « لا يصادفها عبد مسلم وهو يُصَلّى » وتلك الساعة لا يُصَلّى فيها ؟ فيجيبه عبد اللّٰه بن سلام : ألم يقل رسول اللّٰه ﷺ : « مَن جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يُصَلّى » ؟ ... الحديث [(٢)] .

فمثل هذه المراجعة التى كانت بين أبى هريرة وكعب تارة ، وبينه وبين ابن سلام تارة أخرى ، تدلنا على أن الصحابة كانوا لا يقبلون كل ما يُقال لهم ، بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا ، ويردون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق وجه الصواب .

ومهما يكن من شىء فإن الصحابة - رضى اللّٰه عنهم - لم يخرجوا عن دائرة الجواز التى حددها لهم رسول اللّٰه ﷺ ، ولا عما فهموه من الإباحة فى قوله عليه الصلاة والسلام : « بلِّغوا عنى ولو آية ، وحدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج ، ومَن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » [(٣)] .

هذه مقدمة كان لا بد منها لبيان موقف الصحابة جملة من رواية الإسرائيليات . أما أبرز مَن اشتُهِر برواياتها منهم ، وتعرَّض لتهمة الأخذ عن أهل الكتاب

---

(١) القسطلانى فى شرحه لحديث أبى هريرة المذكور جـ ٢ ص . ١٩ ط . الأميرية .

(٢) المرجع السابق - وسؤال أبى هريرة لابن سلام ، عند مالك ، وأبى داود ، والترمذى .

(٣) [illegible]

فى توسع وتسامح يصل إلى حد الغفلة - كما يقول بعض الطاعنين - فهم : أبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وأبرز مَن تعرَّض من الصحابة الذين أسلموا من أهل الكتاب لتهمة ترويج الإسرائيليات ، ودسها على عقائد المسلمين ومعارفهم : عبد الله بن سلام ، وتميم الدارى .

ونرى أن نعرض لما قيل وكِيْلَ من تهم لهؤلاء جميعاً ، ثم نرجع عليها بالرد والتفنيد ، تبرئة لساحة هؤلاء الأعلام الذين كان لهم فى الإسلام قدم صدق ، وفى نشر تعاليمه أثر يُذكر فيُشكر .

● أما أبو هريرة رضى الله عنه :

فما أكثر ما رُمِىَ به من كذب على رسول الله ﷺ ، وما أكثر ما اتُهِمَ به من ترويج للإسرائيليات على ما فيها من أكاذيب وأباطيل ، ولا نطيل بذكر ما قيل فى حقه من الكذب على رسول الله ﷺ ، ولا بالرد عليه ، فليس ذلك موضوع بحثنا ، وقد تناول ذلك من قبل علماء أعلام جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

وإنما نعرض لما قيل عنه من توسعه فى رواية الإسرائيليات وترويجه لها ، واستغلاله كرجل فيه سذاجة وغفلة - كما يقولون - لبث عقائد يهودية وغير يهودية فى محيط المسلمين ، ثم نرد هذه الفرية التى افتروا عليه بما يُعْلَم من تاريخه المشرِّف فى الإسلام .

زعم أبو ريَّة - صاحب كتاب « أضواء على السُنَّة المحمدية » فى (ص ١٢٥ - ١٢٦) أن الصحابة وثقوا بمسلمة أهل الكتاب واغتروا بهم ، فصدَّقوهم فيما يقولون ، ورووا عنهم ما يفترون ، وأن أبا هريرة كان أكثر الصحابة وثوقاً بهم ، وأخذاً عنهم ، وانقياداً لهم !!

وزعم فى (ص ١٧٢ - ١٧٣) : أن أبا هريرة وغيره من كبار الصحابة قد رووا عن كعب الأحبار اليهودى الذى أظهر الإسلام خداعاً وطوى قلبه على

يهوديته ، وأن أبا هريرة كان أول الصحابة انخداعاً به ، وثقة فيه ، ورواية عنه وعن إخوانه ، وأن كعباً سلّط دهاءه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينيمه ، ليلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى من خرافات وأوهام !

يقول أبو ريَّة هذا الكلام فى جرأة غريبة ، ثم يسوق من الروايات عن أبى هريرة ما يراه مبرراً وشاهداً لهذا الزعم الكاذب ، ولسنا نرد عليه الآن اتهامه لكعب ، وإنما نرد عليه اتهامه لأبى هريرة رضى اللّه عنه ، فنقول :

لا ننكر أن أبا هريرة - رضى اللّه عنه - كان يأخذ عن كعب وغيره ممن أسلموا من أهل الكتاب ، وإنما ننكر ما رُمِيَ به من غفلة وسذاجة استغلها كعب فيه فاتخذ منه داعية لأفكار يهودية مسمومة يبثها بين المسلمين .

معاذ اللّه أن يكون أبو هريرة ساذجاً ، وإلى هذا الحد الذى يجعل منه معولاً هداما للإسلام ومقدساته .

وكيف يكون ساذجاً مغفلاً مَن كان يتصدى للفتوى ويجلس له مشاهير الصحابة ويأخذون عنه حديث رسول اللّه ﷺ كابن عباس ، وابن عمر ، وجابر بن عبد اللّه ، وأنس بن مالك ؟ (١) .

أم كيف يكون ساذجاً مغفلاً مَن جعله رسول اللّه ﷺ حارساً على أموال الزكاة (٢) ، ومَن ولاه عمر رضى اللّه عنه إمارة البحرين مرة وعرضها عليه أخرى فأبَى ؟ (٣) ، وعمر هو عمر العبقرى المُلْهَم ، كما شهد له رسول اللّه ﷺ (٤) .

---

(١) انظر أسد الغابة جـ ٥ ص ٣١٧ ط . الوهبية .

(٢) انظر حديث ولايته على أموال الزكاة فى صحيح البخارى - كتاب : الوكالة - باب : إذا وكل رجل فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ، جـ ٣ ص ١١٠ ط . الخيرية .

(٣) انظر الإصابة جـ ٤ ص ٢١٠ ط . السعادة .

(٤) روى البخارى فى صحيحه باب : فضائل أصحاب النبى ﷺ عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم مُحَدَّثون - يعنى مُلْهَمون - فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر » جـ ٧ ص ٣٦ من نسخة على هامش فتح البارى .

أما ما ساقه أبو ريَّة من الأحاديث عن أبى هريرة متخذاً منها ذريعة لقدحه وطعنه فيه ، فقد تكفل بالرد عليه رداً شافياً زميلنا الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة فى كتابه « دفاع عن السُنَّة » (ص ١٤٨ وما بعدها - ط . الأزهر) .

ويكفينا شاهداً على أن أبا هريرة – رضى اللّه عنه – لم يكن غراً ولا ساذجاً أنه ما كان يُسَلِّم لكعب ولا لغيره من مسلمى أهل الكتاب بكل ما يقولون ، بل كان يراجعهم فيرجعون لقوله ، وقد بيَّنا فى (ص ٥٧) بعض مراجعاته لكعب الأحبار وعبد اللّه بن سلام مما يُعتبر – بحق – أمارة حذقه ودقته ، ودليل خبرته وفطنته ، ومن أجل هذا نجد كعباً يقرر له بأنه أعلم بالتوراة من غيره ، فقد أخرج البيهقى عن أبى هريرة : أنه لقى كعباً ، فجعل يحدثه ويسأله ، فقال كعب : « ما رأيتُ رجلاً لم يقرأ التوراة أعلم بما فى التوراة من أبى هريرة » [١] .

* * *

● وأما عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنهما :

فكان يرجع إلى مَن أسلم من أهل الكتاب ويأخذ عنهم بحكم اتفاق القرآن مع التوراة أو الإنجيل فى كثير من المواضع التى أُجْمِلَت فى القرآن وفُصِّلَت فى التوراة أو الإنجيل ، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان فى دائرة محدودة ضيقة تتفق مع القرآن وتشهد له ، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، أو مما لا يقبله العقل ولا يصدقه، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

ولكن المستشرق اليهودى جولدزيهر يتهم ابن عباس رضى اللّه عنهما بالتساهل فى الأخذ عن أهل الكتاب رغم التحذير الشديد من الأخذ عنهم ، لأنه وغيره من الصحابة كانوا يرونهم أقدر الناس على فهم القرآن فيقول :

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٢٠٨ – وقد زعم أبو ريَّة أن قول كعب هذا من أساليبه الغريبة التى خدع بها أبا هريرة الذى يتجلى فى درس تاريخه أنه رجل فيه غفلة وغرة – ص ١٧٢ – ١٧٣ من كتابه « أضواء على السُنَّة المحمدية » .

« وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن كان - يعنى ابن عباس - يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى الذى أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ، وعن ميمونة ابنته أنها قالت : كان أبى يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويختم التوراة فى ستة ، يقرؤها نظراً ، فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك ناس ، وكان يقول : كان يقال : تتنزل عند ختمها الرحمة . وهذا الخبر مبالَغ فيه من ابنته يمكن أن يُبَيِّن لنا مكانة الأب فى الاستفادة من التوراة » . ثم يقول : « ومن بين المراجع المفضلة عند ابن عباس نجد أيضاً كعب الأحبار اليهودى ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم ، ممن حذر الناس منهم ، كما أن ابن عباس نفسه فى أقواله حذَّر من الرجوع إليهم ، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورُفعوا الى درجة أهل العلم الموثوق بهم ... ولم تكن التعاليم الكثيرة التى أمكن أن يستقيها ابن عباس والتى اعتبرها من تلك الأمور التى يرجع فيها إلى أهل الدين الآخر ، مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كعباً عن التفسير الصحيح لأم القرآن وللمرجان مثلاً ، وقد رأى الناس فى هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم - على العموم - فى القرآن وفى كلام الرسول ﷺ وما فيهما من المعانى الدينية ، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد - من كل جهة - من سؤالهم » ا . هـ [١] .

وقد تابعه المرحوم أحمد أمين وجرى فى ركابه حيث يقول :

« وقد دخل بعض هؤلاء اليهود فى الإسلام فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ودخلت فى تفسير القرآن يستكملون بها الشرح ، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن آخذ قولهم . رُوِيَ أن النبى ﷺ قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تُصَدِّقوهم ولا تُكَذِّبوهم » ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يُصَدِّقون وينقلون عنهم » ا . هـ [٢] .

(١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن الكريم لجولدزيهر - ترجمة الدكتور على حسن عبد القادر ص ٦٥ - ٦٧ - ط . العلوم .

(٢) فجر الإسلام ص ٢٤٨ ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

والحق أن هذا الاتهام بعيد كل البعد عن الحق والصواب ، فابن عباس وغيره من الصحابة - كما قلت آنفاً - كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يتصل بالعقيدة أو بأصل من أصول الدين أو بفرع من فروعه ، وإنما كانوا يسألونهم عن تفاصيل لبعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يُرْوَى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك بل كانوا يُحَكِّمون دينهم وعقولهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدَّقوه ، وما خالف ذلك نبذوه ، وما سكت عنه القرآن ولم يرد فيه نص عن الرسول ﷺ واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه .

ثم كيف يعقل أن يستبيح ابن عباس - رضى اللّه عنهما - لنفسه أن يُحَدِّث عن بنى إسرائيل بمثل هذا التوسع والتساهل الذى يجعله مخالفاً لأمر رسول اللّه ﷺ وقد كان من أشد الناس نكيراً على مَن يفعل ذلك ؟ فقد روى البخارى فى صحيحه عنه - كما قدمنا - أنه قال : « يا معشر المسلمين ، تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل اللّه على نبيه ﷺ أحدث الأخبار باللّه تقرأونه لم يشب ، وقد حدَّثكم اللّه أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب اللّه وغيَّروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا هذا من عند اللّه ليشتروا به ثمناً قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا واللّه ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذى أُنْزِلَ عليكم » [(١)] .

وأما ما قاله جولدزيهر من أن ابن عباس كان لا يقتصر فى سؤاله لأهل الكتاب على المسائل الإنجيلية أو الإسرائيلية ، بل كان يتجاوز ذلك فيسألهم عن التفسير الصحيح لأم القرآن ، وللمرجان . ونحو ذلك من الألفاظ القرآنية ، لما كان يراه ويراه غيره من الصحابة من أن هؤلاء اليهود كان عندهم أحسن الفهم - على العموم - فى القرآن وفى كلام الرسول ، فقول يريد أن يرفع به ذلك اليهودى خسيسة قومه ، ولست أرى عليه مسحة حق ولا أمارة صدق ، إذ كيف

---

(١) صحيح البخارى فى « كتاب الشهادات » (نسخة على هامش فتح البارى) جـ ٥ ص ١٨٥ ط . الخيرية .

يُعقل أن يكون ابن عباس وهو ترجمان القرآن ، ومَن دعا له رسول اللّه ﷺ بقوله : « اللّهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل » [١] ، ومَن كان عنده أدق الفهم لإشارات القرآن ودقائق معانيه ، حتى لقد ظهر فى أكثر من مرة فى المسائل المعقدة فى التفسير بمظهر الرجل المُلْهَم [٢] والذى أثنى علىّ بن أبى طالب على براعته وشفافية عقله فى التفسير بقوله : « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » [٣] . والذى قال فيه عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما : « ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد » [٤] ...

كيف يُعقل أن ابن عباس - وهذه بعض صفاته - يرجع إلى رجل يهودى دخيل على العرب فى لفظ عربى ورد فى كتاب اللّه أو فى سُنَّة رسول اللّه ، ولو أننا رجعنا إلى الروايات الواردة فى ذلك ونقدناها على طريقة المحدثين فى نقد الحديث لوجدناها معلولة الأسانيد ، ولا تصلح أن تقوم بها حجة على دعوى رجوع ابن عباس لأبى الجلد أو لغيره لمعرفة معنى لفظ قرآنى أو نبوى دَقَّ عليه فهمه وخفى عليه معناه .

ونأخذ مثلاً على صحة ما نقول الرواية التى اعتمد عليها هذا المستشرق اليهودى فى دعواه هذه ، وهى ما رواه ابن جرير فى تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٢) من سورة الرعد : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ . قال : « حدثنى المثنى ، قال : حدثنا حجاج ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال : كتب ابن عباس إلي أبى الجلد يسأله عن البرق فقال : البرق : الماء ، وقوله : « وطمعاً » . يقول : وطمعاً للمقيم أن يمطر فينتفع » [٥] .

---

(١) الحديث بهذا اللّفظ فى مسند الإمام أحمد من طريق أبى خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ورواية البخارى فى باب فضائل أصحاب النبى ﷺ : أن النبى ﷺ ضمه إلى صدره وقال : « اللّهم علّمه الحكمة » .

(٢) انظر التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٦٦ - ٦٨

(٣) المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع .

(٥) تفسير ابن جرير جـ ١٣ ص ٨٢ . ط . الأميرية .

لو نقدنا هذه الرواية على قواعد القوم فى نقد الحديث لوجدنا إسنادها منقطعاً ، لأن موسى بن سالم أبا جهضم لم يدرك ابن عباس ولم يكن مولى له ، وإنما كان مولى العباسيين ، وروى عن أبى جعفر الباقر الذى كان بعد ابن عباس بمدة طويلة (١) .

ثم إنه لو صح أن عبد الله بن عباس سأل بعض أهل الكتاب عن البرق أو المرجان أو نحوهما فذلك لا يجره إلى مخالفة دينية لأن السؤال عن مثل ذلك لا صلة له بشىء من أصول الدين ولا فروعه .

* * *

● وأما عبد الله بن عمرو بن العاص :

فقد أسندت إليه روايات إسرائيلية ، وكثيراً ما يقال عن هذه الروايات : إنها - أو لعلها - من زاملتيه اللّتين أصابهما يوم اليرموك .

بل وجدنا أبا ريَّة فى (ص ١١٣ - ١١٤) من كتابه « أضواء على السُنَّة المحمدية » يزعم أن أحبار اليهود اتبعوا بدهائهم العجيب طرقاً غريبة لكى يستحوذوا بها على عقول المسلمين . ويكونوا محل ثقتهم وموضع احترامهم ، وساق دليلاً على ذلك حديث البشارة برسول الله ﷺ وذكر أوصافه فى التوراة ، وقال عنه إنه خرافة إسرائيلية امتدت وسرت إلى أحد تلاميذ كعب الأحبار عبد الله بن عمرو بن العاص !!

وهكذا فى جرأة بالغة يرمى أبو ريَّة عبد الله بن عمرو بأنه غر مخدوع بخرافات الإسرائيليات وأباطيلها ، ويحكم على حديث صحيح كل الصحة أنه من وضع أحبار اليهود الذين أسلموا ... وضعه عبد الله بن سلام ، وصاغه فى قالب لفظى لا يثير ارتياباً ، ثم أحكمه الداهية كعب فى صياغة أخرى لكى يستحوذ بها على عقول المسلمين ، وكان فريسته التى استهواها هذا الحديث فى ثوبه الجديد عبد الله بن عمرو بن العاص !!

---

(١) انظر خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٣٤ . ط . الخيرية ، وميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٢٠٥ . ط . الحلبى .

ولست أرى مَن يتهم عبد الله بن عمرو بكثرة الرواية من زاملتيه فى تسامح ، ولا مَن جعله غراً مخدوعاً بخرافات الإسرائيليات وأباطيلها على حق مطلقاً .

حقاً إنه نُسبَ إلى عبد الله بن عمرو أنه أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك ، ولا يقدح ذلك فيه على فرض صحته ، فقد عُرِفَ عبد الله بن عمرو بالعلم والفضل ، وبأنه كان عنده شغف بالكتابة والقراءة . قال عنه صاحب أسد الغابة : « أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً عالماً ، قرأ القرآن والكتب المتقدمة ، واستأذن النبى ﷺ فى أن يكتب عنه فأذن له ، فقال : يا رسول الله ، أكتب ما أسمع فى الرضا والغضب ؟ قال : نعم ، فإنى لا أقول إلا حقاً » (١) .

وقال عبد الله بن عمرو عن نفسه : « حفظتُ عن النبى ﷺ ألف مثل » (٢) .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو : فإنه كان يكتب ولا أكتب » (٣) .

وقال مجاهد : « أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة تحت مفروشه فمنعنى ، فقلت : ما كنت تمنعنى شيئاً ، قال : هذه الصادقة : ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه أحد ، إذا سلمت لى هذه ، وكتاب الله ، والوهط ، فلا أبالى ما كانت عليه الدنيا » (٤) .

كل هذا يدل على المكانة العلمية العالية التى كان عليها عبد الله بن عمرو ، وعلى غزارة المادة التى كانت لديه فى ذلك ، ولكن على رغم غزارة المادة العلمية لدى عبد الله ، وبخاصة ما كان منها راجعاً إلى حديث رسول الله ﷺ ،

---

(١) أسد الغابة جـ ٣ ص ٢٣٣ ط . الوهبية . (٢) المرجع السابق .

(٣) صحيح البخارى « كتاب العلم » - باب « كتابة العلم » جـ ١ ص ٣٤ ط . مصر .

(٤) أسد الغابة جـ ٣ ص ٢٣٤ - والوهط - كما فى القاموس - بستان ومال كان لعمرو بن العاص بالطائف على ثلاثة أميال من وج ، كان يعرش على ألف ألف خشبة ، شراء كل خشبة درهم .

لم يُعرف عنه أنه أكثر من رواية الحديث كما أكثر أبو هريرة رضى اللّه عنه ، وما رُوِىَ عنه من ذلك لا يتناسب مع كثرة محفوظاته ومدوناته فى الحديث ... كل ما أحصاه أهل الحديث من مروياته سبعمائة حديث ، اتفق البخارى ومسلم على سبعة عشر حديثاً منها ، وانفرد البخارى بثمانية ، ومسلم بعشرين (١) .

هذا الإقلال النسبى من روايته للحديث ، لم يكن له دافع إلا دافع الورع والحيطة فيما يروى ، ويظهر أن هذا كان مسلك نفر من الصحابة رضوان اللّه عليهم ، كانوا لا يُحَدِّثون إلا بقدر ، وعلى حسب ما يعرض لهم من مسائل الناس فى شأن دينهم ، فهذا أبو بكر رضى اللّه عنه على كثرة سماعه من رسول اللّه ﷺ كان مقلاً فى الرواية عنه ، وكذا العباس بن عبد المطلب ، وعمران بن الحصين ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد ، وغيرهم كثير ممن صحبوا رسول اللّه ﷺ وسمعوا الكثير من حديثه (٢) .

هذا الورع الذى قيَّد عبد اللّه بن عمرو فجعله لا يبث كل ما فى وعائه من حديث رسول اللّه ﷺ لا يستقيم معه بحال أن يبث من زاملتيه كل ما نُسِبَ إليه من روايات إسرائيلية ، وبعضها باطل محض وكذب صريح .

وما كان عبد اللّه ليشغل نفسه بخرافات زاملتيه ، وهو الذى كان يفنى ليله قائماً ، ونهاره صائماً ، ولا يكاد يفتر عن تلاوة القرآن حتى شكاه أبوه من أجل ذلك إلى رسول اللّه ﷺ (٣) .

وما كان عبد اللّه بن عمرو ليشغل غيره بما فى زاملتيه من ترهات وأكاذيب وإلا كان داعية لهو ، ومروِّج كذب ، وهو الصحابى الصادق الورع .

---

(١) الحديث والمحدثون ، للأستاذ الشيخ محمد أبى زهو ص ١٤٤ ط . الخيرية .

(٢) انظر حديث عبد اللّه بن الزبير عن أبيه وحديث أنس بن مالك عند البخارى فى كتاب : العلم ، باب : إثم من كذب على النبى ﷺ ، جـ ١ ص ٣٣ ط . الخيرية .

(٣) انظر الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر (نسخة عل هامش الإصابة) جـ ٢ ص ٣٤٧ ط . السعادة .

ثم ألا نرى فى قول عبد اللّه - وقد أذن له رسول اللّه ﷺ فى الكتابة عنه - : « يا رسول اللّه ، أكتب ما أسمع فى الرضا والغضب » ؟ ما يدل على مبلغ حيطته التى تنفى عنه التساهل وتقبله لكل ما يُلْقَى اليه ولو كان مصدره مشكوكاً فيه؟.

وألا نرى فى قوله - وهو يحدث عن صحيفته الصادقة التى كتبها عن رسول اللّه ﷺ - :« إذا سلمت لى هذه ، وكتاب اللّه ، والوهط ، فلا أبالى على ما كانت عليه الدنيا »، ما يدل على أنه ما كان يعير زاملتيه المزعومتين اهتماماً ، ولا يرى فيهما أثارة من علم تدعو إلى الحرص عليهما وإذاعة ما فيهما على الناس ؟

وإذا كان ولا بد من التسليم بصحة ما رُوِىَ من أن عبد اللّه بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكَان يُحَدِّث منهما ، فلسنا نُسَلِّم أن ذلك التحدث كان على إطلاقه ، بل الظن به أنه كان يُحَدِّث منهما فى حدود ما فهمه الصحابة من الإذن فى قوله عليه الصلاة والسلام « حدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج » .

وأما ما زعمه أبو ريَّة من أن حديث البشارة بالنبى ﷺ وذكر أوصافه فى التوراة خرافة إسرائيلية سرت إلى عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن طريق أستاذه كعب الأحبار ، فتلك فرية على عبد اللّه وكعب رضى اللّه عنهما ، ولا أجد حرجاً إن قلت إن ذلك جحود لصريح القرآن وصحيح الحديث عن رسول اللّه ﷺ !

فالقرآن الكريم يقرر فى صراحة ووضوح ما زعمه هذا المحسوب على المسلمين فرية ، وذلك حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

---

(١) الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧

وصحيح البخارى - وهو أصح الكتب بعد كتاب الله - جاء فيه أن عطاء بن يسار قال : « لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قلت : أخْبِرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا أيها النبى إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخَّاب [1] فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، لن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عُمْياً ، وآذانا صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً » [2] .

وإذا كان هذا موقف القرآن والحديث من هذه البشارة ، فكيف يزعم هذا الذى أعمى الله بصيرته أنها خرافة سرت من كعب الأحبار إلى تلميذه عبد الله بن عمرو ؟ !! .. اللّهم إنها ضلالة افتجرها على علم منه واتباعاً لهوى نفسه ، وليس أضل ممن اتبع هواه وأضله الله على علم .

* * *

● وأما عبد الله بن سلام :

فترُوْىَ عنه فى التفسير روايات إسرائيلية ينكرها عليه بعض مَن يتشككون دائماً فى مرويات مسلمة أهل الكتاب ونحن لا ننكر أنه - بحكم كونه من أحبار اليهود - كان يْحَدِّث ببعض ما فى كتبهم من قصص وأخبار .

وليس عجيباً ولا مستنكراً - وقد اجتمع لديه علم التوراة وعلم القرآن ، وامتزجت فيه الثقافة اليهودية بالثقافة الإسلامية - أن يتجمع حول اسمه كثير من الروايات الإسرائيلية ، يرويها عنه كثير من المفسرين فى كتبهم ، ومَن كانت له مكانة علمية بين علماء أهل الكتاب وعلماء المسلمين كعبد الله بن سلام

---

(١) سخاب : من السخب - بالسين المهملة . ويقال فيه : الصخب - بالصاد المهملة بدل السين - وهو رفع الصوت بالخصام .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب « البيوع » - باب « كراهة السخب فى الأسواق » جـ ٣ ص ٦٦ - ٦٧ ، وأخرجه البخرى فى كتاب التفسير باب : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ .

كثيراً ما يكون من المصادر العلمية الهامة التى يُرجع اليها ، وكثيراً ما يُستَغل اسمه لترويج فكرة معينة أو إشاعة خبر معين .

ونحن أمام ما يُرْوَى عن عبد اللّه بن سلام ويُنْسَب إليه لا نُزَيِّف كل رواية ، ولا نقبل كل رواية ، بل علينا أن نعرض كل ما يُرْوَى عنه على مقياس الصحة المعتبر فى باب الرواية فما صح قبلناه ، وما لم يصح رفضناه ..

ومعاذ اللّه أن يكون عبد اللّه بن سلام دسيسة على المسلمين ، وأن يكون قد أسلم خداعاً لينفث سمومه بينهم ، لأنه لو كان كذلك لكان رسول اللّه ﷺ أول المخدوعين فيه يوم أن جاءه مسلماً ، فقد ثبت أنه أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة ، ويحدثنا البخارى عن قصة إسلامه فيقول فى ضمن حديث ساقه فى باب الهجرة : « ... فلما جاء نبى اللّه ﷺ جاءه عبد اللّه بن سلام فقال : أشهد أنك رسول اللّه ، وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى ، فأرسل نبى اللّه ﷺ فأقبلوا ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول اللّه ﷺ : « يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا اللّه ، فواللّه الذى لا إلَه إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول اللّه حقاً ، وأنى جئتكم بحق فأسلموا » ، قالوا : ما نعلمه ، قالوا للنبى ﷺ وقالها ثلاث مرات ، قال : « فأى رجل فيكم عبد اللّه بن سلام » ؟ قالوا : ذلك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أفرأيتم إن أسلم » ؟ قالوا : حاشا للّه ، ما كان ليسلم ، قال : « أفرأيتم إن أسلم » ؟ قالوا : حاشا للّه ، ما كان ليسلم ، قال : « أفرأيتم إن أسلم » ؟ قالوا : حاشا للّه ، ما كان ليسلم ، قال : يابن سلام اخرج إليهم » ، فخرج فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا اللّه فواللّه الذى لا إلَه إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول اللّه ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول اللّه ﷺ » (١) .

---

(١) صحيح البخارى « باب الهجرة » جـ ٥ ص ٦٣ ط . الخيرية .

ثم معاذ اللّه – لو خُدِعَ رسول اللّه ﷺ أول الأمر – أن يظل مخدوعاً ، وأن يتخلى اللّه عن نبيه فلا ينبهه إلى هذه الخديعة وخطرها فى الوقت الذى لا يزال القرآن ينزل عليه ، ويكشف له كثيراً من أحوال المنافقين وخباياهم ، كما قال سبحانه : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

ومحال أن يكون عبد اللّه بن سلام قد أسلم ولا يزال به حنين إلى يهوديته وما فيها من أباطيل ، فهو لهذا يُروِّجها ويُحَدِّث بها ، ليُفسد على المسلمين عقائدهم ويشوِّش بها على أفكارهم ، وهل مَن هذا شأنه يشهد له رسول اللّه ﷺ بالجنة ؟ . روى البخارى بسنده إلى سعد بن أبى وقاص أنه قال : « ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض : إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد اللّه ابن سلام . قال : وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ .. ﴾ ... الآية (٢) .

وفى كتاب التاريخ الصغير للبخارى بسند جيد عن يزيد بن عُمير قال : « حضرت معاذاً الوفاة ، فقيل له : أوصنا ، فقال : التمسوا العلم عند أبى الدرداء ، وسلمان ، وابن مسعود ، وعبد اللّه بن سلام الذى كان يهودياً فأسلم ، سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : إنه عاشر عشرة فى الجنة » (٣) .

كل هذا يدل على مبلغ علمه ، وسلامة دينه ، ولهذا لم نجد بين علماء الحديث الذين نقدوا الرجال مَن ناله بتهمة ، أو مسَّه بتجريح ، وإنما وجدناهم يُعَدِّلونه ويُوَثِّقونه ، ولهذا اعتمده البخارى وغيره من أهل الحديث ، ولا يغض من شأن عبد اللّه بن سلام ما صح عنه من روايات إسرائيلية فهى على قلتها لا تعدو أن تكون من قبيل ما أذن رسول اللّه ﷺ فى روايته . ولا يمكن أن تُخدش عدالته أو تضعف الثقة فيه ، وإلا ما اعتمده البخارى وغيره من أهل الحديث كما قلنا.

---

(١) التوبة : ٦٤

(٢) صحيح البخارى ، باب « فضائل أصحاب النبى ﷺ » جـ ٥ ص ٣٧ – والآية من سورة الأحقاف : ١٠ .

(٣) الإصابة جـ ٢ ص ٣٢١

أما ما نُسبَ إليه كذباً من إسرائيليات بقصد ترويجها ، فذلك ذنب مَن نسبها إلَيْه وليس له جناية فى هذا ، وكم وضع الوضّاعون من أحاديث ونسبوها إلى رسول اللّه ﷺ وهو خير منه ، فما حَطَّ ذلك من قدره ، ولا غَضَّ من مقامه .

❊ ❊ ❊

● وأما تميم الدارى :

فكان بحكم كونه نصرانى الأصل - يعى من معارف النصرانية وأخبارها شيئاً كثيراً ، ويظهر أنه كان يعرف بجوار معارفه النصرانية معارف أخرى مما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأخبار مَن سبق من الأُمم .

ويغلب على الظن أنه كان مُحَدِّثاً بارعاً وقاصًّا ماهراً ، ويقينى أنه كان راوية عزوفاً عن خداع العامة بترهات القصص وأباطيلها ، فقد ذكر صاحب أسد الغابة وغيره أنه كان أول من قَصَّ ، وأنه استأذن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فى ذلك فأذن له [١] .

ولا أظن أن عمر رضى اللّه عنه - وهو العبقرى المُلْهَم والمتشدِّد فى قبول الرواية - يأذن لتميم أن يقص على الناس وهو يبلو عليه الكذب ، بل إنَّا لنجد عمر رضى اللّه عنه يصفه بأنه خير أهل المدينة [٢] ، ومَن كان هذا شأنه لا بد أن يكون مترفعاً فى قصصه عما يتدلى إليه غالب القصّاص من رواية الغرائب والمناكير التى لا أصل لها .

ولدينا أكبر شاهد على صدق تميم وكونه ثقة مأموناً فيما يرويه ويُحَدِّث به من قصص وغيره ، وهو استماع الرسول ﷺ إليه وهو يحدِّثه بقصة الجساسة ، ثم دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام الناس إلى المسجد ليقص بنفسه عليهم ما حدَّثه به تميم ، والقصة مروية بطولها فى صحيح مسلم يرويها مسلم بسنده إلى

---

(١) أسد الغابة جـ ١ ص ٢١٥ ط . الوهبية . وانظر الإصابة جـ ١ ص ١٨٤ ط . السعادة .

(٢) انظر الإصابة : ترجمة تميم الدارى جـ ١ ص ١٨٣ - ١٨٤ ، وترجمة معاوية بن حرمل الحنفى جـ ٣ ص ٤٩٧

فاطمة بنت قيس - وكانت من المهاجرات الأوَل - وفى حديثها أنها سمعت منادى رسول الله ﷺ ينادى : الصلاة جامعة ، فخرجتْ إلى المسجد فصلّت مع رسول الله ﷺ فى صف النساء ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل إنسان مصلّاه ، ثم قال : أتدرون لِمَ جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال : حدثنى أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرُب [1] السفينة ، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا يدرون ما قُبُله من دُبُره من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك مَن أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة ... إلى آخر الحديث [2] .

والعجب أنَّا وجدنا أبا ريَّة - وهو شغوف دائماً بالطعن على مسلمة أهل الكتاب - يرمى تميماً الدارى بأنه لوَّث الدين الإسلامى بمفترياته ومسيحياته ، حيث يقول فى كتابه « أضواء على السُنَّة المحمدية » (ص . ١٤٠) تحت عنوان « المسيحيات فى الحديث » ما نصه : « إذا كانت الإسرائيليات قد لوَّثت الدين الإسلامى بمفترياتها ، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين ، وأول مَن تولى كِبَر هذه المسيحيات هو تميم بن أوس الدارى وهو من نصارى اليمن » ثم يذكر أنه كان يُحَدِّث بروايات وقصص عن الجساسة ، والدجال ، وإبليس ، ومَلَك الموت ، والجنة والنار ، وأنه ملأ الأرض بهذه الروايات كما

---

(١) قال النووى فى شرحه على صحيح مسلم جـ ١٨ ص ٨١ ط . حجازى : « وهو - يعنى لفظ أقرب - بضم الراء ، وهى سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة ، يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم ، الجمع قوارب ، والواحد قارب - بكسر الراء وفتحها ، وجاء هنا أقرب وهو صحيح لكنه خلاف القياس . وقيل : المراد بأقرب السفينة أخرياتها وما قرب منها للنزول » ا . هـ.

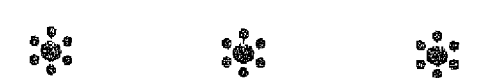
(٢) صحيح مسلم (نسخة عليها شرح النووى) جـ ١٨ ص ٧٨ - ٨٣ ط . حجازى .

فعل زميلاه من قبل : كعب الأحبار ووهب بن منبه ، ثم يسوق من شواهده على هذه الفرية حديث الجساسة ، كأنما لا يكفيه ما ذكرناه وما ذكره غيرنا من شهادات صادقة على حسن إسلام تميم وسلامة دينه من خوارم المروءة التى يتصف بها بعض مَن يتصدرون للرواية .

وهل يُتصوَّر من رسول الله ﷺ - وهو المؤيَّد بوحى السماء - أن يتقبل من رجل يُلوِّث الإسلام بمسيحياته حديثاً كحديث الجساسة ؟ ثم هو لا يكتفى بذلك ، بل يجمع أصحابه ويحدثهم به ، ويقرر من فوق منبره صدق حديثه بقوله : « وحدَّثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال » .

وحديث الجساسة - وإن كان مشتملاً على عجائب وغرائب - لا يمنع من قبوله وتصديقه ما فيه من ذلك ما دام قد رُوِىَ من طريق صحيحة لا مطعن فيها ولا مغمز ، وما دام العقل لا يحيله والدين لا يعارضه .

ولقد رُوِىَ حديث الجساسة من طرق متعددة ، وأخرجه غير واحد من أئمة الحديث ، وذلك أمارة قوته ، وإذا انضم إلى ذلك كونه موافقاً لما فى كتاب الله تعالى كان الحكم عليه بغير الصحة مكابرة ومعاندة ، وقد جاء ذكر الدابة وتكليمها الناس فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُواْ بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ (١) . ولا يقال : إن ذلك يكون فى آخر عمر الدنيا وقرب وقوع الساعة ، لأنَّا نقول : إن الذى يحدث قرب الساعة إنما هو إخراجها ، وإخراجها لا يمنع وجودها حيث رآها تميم ومَن معه ، فهى فى محبسها فى المكان الذى رست عليه سفينتهم ، ومن هذا المحبس تخرج على الناس قرب الساعة فتكلمهم بما حدَّث الله به فى كتابه .



---

(١) النمل : ٨٢

٢ - أشهر من عُرِف برواية الإسرائيليات من التابعين :

قلنا - فيما سبق - إن التابعين قد توَّسعوا فى الأخذ عن أهل الكتاب ، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية فى التفسير والحديث ، وأرجعنا ذلك إلى كثرة مَن دخل فى الإسلام من أهل الكتاب ، وشدة ميل نفوس القوم إلى سماع التفاصيل لما أجمله القرآن الكريم من أحداث يهودية أو نصرانية أو غيرها .

قلنا ذلك ، ونقول : إن مسلك التابعين فى رواية هذه الإسرائيليات وقبولها لم يكن دائماً كمسلك الصحابة رضوان اللّه عليهم من أخذها بالمعيار الشرعى الدقيق : يُصَدِّقون ما يصدِّقه شرعنا ، ويردون ما يُكَذِّبه ، ويتوقفون فيما سكت عنه .

وإذا نحن تتبعنا مَن اشتهر بالتفسير والحديث من التابعين ، وجدنا من بينهم جماعة اشتهروا برواية الإسرائيليات وكثرة نقلها عنهم كثرة أساءت إليهم ، ويسَّرت لبعض النقَّاد أن يبسطوا إليهم ألسنتهم وأقلامهم بالسوء ، فكالوا لهم التهم ، ورموهم جميعاً - على ما فى بعضهم من بُعْدٍ عن مظان التهم - بأقذع الألفاظ وأقبح الأوصاف ومن هؤلاء كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وكلاهما من علماء اليهود وأحبارهم الذين دخلوا فى الإسلام بعد ما تبين لهم أنه الحق .

● أما كعب الأحبار :

فقد رُوِىَ عنه ونُسِبَ إليه كثير من الإسرائيليات ، وبعض ما نُسِبَ إليه حق واضح، وبعضه كذب فاضح ، الأمر الذى جعل بعض النقاد يعتقد صحة روايته لكل ما نُسِبَ إليه فيكيل له التهم جزافاً ، ولا يرى كل مروياته الإسرائيلية إلا أكاذيب وأباطيل .

رأينا أبا ريَّة يقول عنه : إنه أظهر الإسلام خداعاً ، وطوى قلبه على يهوديته ، وأنه سلَّط قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينيمه ، ليلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى من خرافات وأوهام ...

وأنه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبى ﷺ (١) .

وإذا نحن تتبعنا حياة كعب فى الإسلام ، ورجعنا إلى مقالات بعض أعلام الصحابة فيه ، وأحصينا مَن تحمَّل منهم عنه وروى له ، ومَن أخرج له من شيوخ الحديث فى مصنفاتهم ... لو فعلنا ذلك لوجدنا فيه ما يدحض هذه الفرية ، ويشهد للرجل بقوة دينه وصدق يقينه ، وأنه طوى قلبه على الإسلام المحض والدين الخالص ، فقد أسلم كعب على المشهور - فى خلافة عمر رضى اللّه عنه ، وسكن المدينة ، وصحب عمر ، وروى عنه (٢) ، وشارك فى غزو الروم فى خلافة عمر ، وعمر - كما قلنا - كان عبقرياً مُلْهَماً ، فلا يعقل أن يساكن كعباً فى المدينة ، ويصاحبه ويكتبه فى جيش المسلمين لغزو الروم وهو مخدوع فيه وفى إسلامه .

ولقد كان كعب على مبلغ عظيم من العلم ، وكان له بالثقافة اليهودية والثقافة الإسلامية معرفة واسعة ، ولغزارة علمه وكثرة معارفه لهج بعض أعلام الصحابة بالثناء عليه ، فهذا أبو الدرداء رضى اللّه عنه يذكره فيقول : « إن عند ابن الحميرى لعلماً كثيراً » . وهذا معاوية رضى اللّه عنه يُثنى على نفر من أصحاب رسول اللّه ﷺ منهم كعب الأحبار فيقول : « ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء ، ألا إن عمرو بن العاص أحد الحكماء ، ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء ، إن كان عنده علم كالثمار وإن كنا لمفرطين »(٣) .

وجمهور العلماء على توثيق كعب ، ولذا لا نجد له ذكراً فى كتب الضعفاء والمتروكين (٤) . وما كان لمنصف أن يخدش عدالته أو يشك فى كونه ثقة بعد ما ثبت من رواية أعلام الصحابة عنه كأبى هريرة ، وعبد اللّه بن عمر ،

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٧٢ - ١٧٣

(٢) تهذيب الأسماء واللُّغات جـ ٢ ص ٦٨ ط . المنيرية .

(٣) انظر تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٤٤٠ ط . الهند .

(٤) مقالات الكوثرى ص ٣٢

وعبد اللّه بن الزبير ، ولم يكن هؤلاء ولا كل مَن روى عنه سذجاً ولا مخدوعين فيه ، وإنما أيقنوا أنه صدوق فيما يروى فرووا عنه .

وإذا كان مسلم بن الحجاج قد أخرج له في صحيحه ، وكذا أخرج له أبو داوود والترمذى والنسائى ، فهذا دليل على أن كعباً كان ثقة غير متهم عند هؤلاء جميعاً ، وتلك شهادة كافية لرد كل تهمة تُلْصَق بهذا الحَبَر الجليل .

وإذا كان ابن كثير يروى أن عمر بن الخطاب كان ينهى كعب الأحبار عن التحديث ويقول له : « لتتركن الحديث عن الأُوَل أو لألحقنك بأرض القردة »(١) فذلك لم يكن لتهمة ، وإنما كان مخافة التشويش على عقائد العامة وأفكارهم لعدم تمييزهم بين الحق والباطل مما يُحَدِّث به من أخبار الأوَل ، وقد كان عمر رضى اللّه عنه يمنع المكثرين من الرواية مطلقاً ، حتى هدَّد أبا هريرة بمثل ما هدد به كعب الأحبار فقال له - على ما رواه ابن كثير - : « لتتركن الحديث عن رسول اللّه ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس » وقد علل ابن كثير هذا بقوله : « وهذا محمول من عمر على أنه خشى من الأحاديث التى تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلون على ما فيها من أحاديث الرُخَص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع فى أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك (٢) .

أقول : ولعل سر نهيه لكعب عن الحديث عن الأُوَل ، ونهيه لأبى هريرة عن الحديث عن رسول اللّه ﷺ : أن أبا هريرة كان يُحَدِّث عن رسول اللّه ﷺ بما سمعه منه ، وعن كعب بما يُحَدِّثه به ، فكان الناس يخلطون بين حديث الرسول ﷺ وحديث كعب ، فقد روى مسلم بن الحجاج بسنده إلى بشر بن سعيد أنه قال: « اتقوا اللّه وتحفظوا من الحديث ، فواللّه لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيُحَدِّث عن رسول اللّه ﷺ ، ويُحَدِّثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول اللّه ﷺ عن كعب ، وحديث كعب عن رسول اللّه ﷺ » .

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨ ص ١٠٨ ط . السعادة .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨ ص ١٠٨ ط . السعادة .

وفى رواية : « يجعل ما قاله كعب عن رسول اللّه ، وما قال رسول اللّه عن كعب ، فاتقوا اللّه وتحفَّظوا فى الحديث » ا هـ [1] .

ورأينا المرحوم أحمد أمين ينال من كعب أيضاً ، ويُلْصِق به ما يغض من ثقته وعدالته ، بل ومن دينه ، ويوجه إليه من التهم ما نُعيذ كعباً من أن يعلق به شىء منها وذلك حيث يقول :

« وقد لاحظ بعض الباحثين أن بعض الثقات كابن قتيبة والنووى لا يروى عنه أبداً ، وابن جرير الطبرى يروى عنه قليلاً ولكن غيرهم كالثعلبى والكسائى [2] ينقل عنه كثيراً فى قصص الأنبياء ، كقصة يوسف والوليد بن الريَّان ، وأشباه ذلك .

ويُرْوَى عن ابن جرير . أنه جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له : اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجده فى كتاب اللّه عز وجل ، فى التوراة .، قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ قال : اللّهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك ، وأنه قد فَنِىَ أجلك » .

ثم قال الأستاذ أحمد أمين رحمه اللّه : « وهذه القصة إن صحت دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ، ثم وضعها هو فى هذه الصيغة الإسرائيلية ، كما تدلنا على مقدار اختلافه فيما ينقل » ثم قال : « وعلى الجملة ، فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم - يريد كعباً ووهباً وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب - فى عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح »[3] .

ولسنا نقر الأستاذ أحمد أمين - رحمه اللّه - على كلامه هذا ، فكون بعض الثقات كابن قتيبة والنووى لم يرووا عن كعب لا يدل على وهن فيه ، فقد روى عنه مَن هو خير من ابن قتيبة والنووى فى باب الحديث رواية ودراية ، كالإمام مسلم وغيره ممن ذكرنا .

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨ ص ١٠٩ ط . السعادة .

(٢) لعله يريد الكلبى ، ولفظ الكسائى محرف عنه .

(٣) فجر الإسلام ص ١٩٨ ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

والقصة التى رواها ابن جرير فى تاريخه عن مقتل عمر رضى الله عنه ، لا أظنها صحيحة ، لأنها لو صحت لكان معنى ذلك أن كعباً - وهو شريك فى الجريمة كما يزعم - يكشف عن نفسه بنفسه ، وذلك على غير المألوف من عادة المجرمين من المبالغة في كتمان ما يدبرون، وعدم إثارة الشكوك حولهم [1] ..

ورواية ابن جرير للقصة لا تدل على صحتها ، لأن ابن جرير - كما هو معروف عنه - لم يلتزم الصحة فى كل ما يرويه ، والذى ينظر فى تفسيره يجد فيه مما لا يصح شيئاً كثيراً ، كما أن ما يرويه فى تاريخه لا يعدو أن يكون من قبيل الأخبار التى تحتمل الصدق والكذب ، ولم يقل أحد بأن كل ما يُرْوَى فى كتب التاريخ ثابت صحيح .

ثم إن ما يُعرف عن كعب الأحبار من دينه ، وخُلُقه ، وأمانته ، وتوثيق أكثر أصحاب الصحاح له يجعلنا نحكم بأن هذه القصة موضوعة عليه ، ونحن ننزه كعباً عن أن يكون شريكاً فى قتل عمر ، أو يعلم مَن يدبر أمر قتله ثم لا يكشف لعمر عنه ، كما ننزهه أن يكون كذاباً وضاعاً ، يحتال على تأكيد ما يُخبر به من مقتل عمر بنسبته إلى التوراة وصوغه فى قالب إسرائيلى !!

وأما قول الأستاذ أحمد أمين : « وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم فى عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح » فإن أراد أن يرجع ذنب هذا الأثر السىء إلى كعب وأضرابه ، فنحن لا نوافقه عليه ، لأن ما يرويه كعب وغيره من مسلمة أهل الكتاب لم يسندوه إلى رسول الله ﷺ ولم يكذبوا فيه على أحد من المسلمين ، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات الموجودة فى كتبهم ، ولسنا مكلّفين بتصديق شىء من ذلك ولا مطاَلبين بالإيمان به بعد ما قال رسول الله ﷺ : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم » .

وإذا كانت هذه الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره ، قد أثرت فى عقيدة المسلمين وعلمهم أثراً غير صالح ، فليس ذنب هذا راجعاً إلى كعب وأضرابه

---

(١) انظر الحديث والمحدثون ، للأستاذ الشيخ محمد أبى زهو ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ط . مصر .

لأنهم رووه على أنه مما فى كتبهم ، ولم يشرحوا به القرآن - اللّهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له - ثم جاء مَن بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بُعْدٍ شاسع . بل وزادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية نسبوها لهؤلاء الأعلام ، ترويجاً لها ، وتمويهاً على العامة ، فالذنب إذن ذنب المتأخرين الذين ربطوا هذه الإسرائيليات بالقرآن وشرحوه على ضوئها ، واخترعوا من الأساطير ما نسبوه زوراً وبهتاناً إلى هؤلاء الأعلام وهم منه براء .

ولقد رأينا كذلك السيد محمد رشيد رضا - رحمه اللّه - يرمى كعباً بالكذب، ويتهم علماء الجرح والتعديل بأنهم اغتروا به وبوهب بن منبه وعدلوهما حيث يقول فى مقدمة تفسيره بعد أن ذكر كلاماً لابن تيمية فى شأن ما يروى من الإسرائيليات عن كعب ووهب - ما نصه :

« فأنت ترى أن هذا الإمام المحقق - يريد ابن تيمية - جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عُرِفَ أنه من رواة الإسرائيليات ، وهذا فى غير ما يقوم الدليل على بطلانه فى نفسه ، وصرح فى هذا المقام بروايات كعب ووهب بن منبه ، مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما ، فكيف لو تبين له ما تبين لنا من كذب كعب ووهب وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها شىء منه ولا حومّت حوله » اهـ [١] .

ونحن لا ننكر ما ذهب إليه ابن تيمية فى مقدمته فى أصول التفسير التى اعتمد عليها الشيخ فيما نُقِلَ عنه ، ولكن ننكر على الشيخ فهمه لعبارة ابن تيمية ، وذلك أنه ادعى أن ابن تيمية جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عُرِفَ أنه من رواة الإسرائيليات ، وهذا فى غير ما يقول الدليل على بطلانه فى نفسه ، يعنى أنه لا يتوقف فيه ، بل يرفض رفضاً باتاً .

وعبارة ابن تيمية التى ذكرها الشيخ لا تفيد ذلك الذى قاله ، وإنما تفيد أن ما جاء عن رواة الإسرائيليات يُتَوقف فيه إذا كان مما هو مسكوت عنه فى شرعنا

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٩ ط . المنار .

ولم يقم دليل على بطلانه ، أما ما رُوِىَ عنهم موافقاً لما جاء فى شرعنا ، فهذا صحيح مقبول بدون توقف ، كما نص عليه ابن تيمية فى (ص ٢٦ ، ٢٧) من مقدمته فى أصول التفسير ، وهو عين ما عناه بعبارته الموجودة فى (ص ١٣ ، ١٤) وهى التى اعتمد عليها السيد محمد رشيد فى طعنه على كعب وغيره .

كما أننا لا نقر الشيخ - رحمه اللّه - على هذا الاتهام البليغ لكعب ووهب ، ولا على رميهما بالكذب ، ولا على ادعاء عزوهما إلى التوراة أو غيرها ما ليس فيها ، كما أنَّا لا نقره على اتهامه لعلماء الجرح والتعديل الذين طهروا لنا السُنَّة من الدخيل ، وأزحوا عنها ما لصق بها من الموضوعات ، وبيَّنوا لنا الصحيح والعليل منها ، والعدل والمجروح من رواتها ، حيث رماهم بالغفلة والاغترار ، وهم أهل هذا الفن الذى لا يصلح له إلا قليل من الناس ، وهو نفسه يرتضيهم فى باب الجرح والتعديل ويعتمد رأيهم فى كثير من المواقف التى يحتاج فيها إلى تصحيح حديث أو تضعيفه ، ولا ندرى ما هذا الكذب الذى تبيَّن له من كعب ووهب وخَفِىَ عن ابن تيمية وهو مَن نعلم علماً ومعرفة ، وليت الشيخ - رحمه اللّه - بيَّن لنا ما يستند إليه فى دعواه ، وغالب الظن أنه ما نسبهما إلى الكذب إلا لأنه قارن بين ما يُرْوَى عن كعب وغيره من مسلمة أهل الكتاب وما يقابل ذلك من التوراة التى ينقل عنها كثيراً فى تفسيره فوجده مخالفاً لما فيها ، فكان ذلك كذباً فى نظره ، كأن التوراة هى العمدة الذى يُعْتَمد عليه ، والأصل الذى يُحْتَكم إليه ، ونسى أنها محرَّفة مبدَّلة ، وأن بجوارها شروحاً وسُنَّناً تُعتبر عند أهلها من المصادر المهمة ، فلِمَ لا تكون التوراة التى نقل عنها كعب ووهب غير التى نقل عنها الشيخ رشيد ، ومعروف أن يد التحريف والتبديل لعبت فيها أكثر من مرة ؟ ولِمَ لا تكون الرواية التى رواها كعب أو غيره ، ولا يجدها الشيخ فى التوراة التى يحتكم إليها فى تفسيره ، ويرد بها روايات كعب ووهب ، لِمَ لا تكون مأخوذة من التلمود أو غيره من شروح التوراة وما يتبعها من نصائح وسُنَن ؟

وربما يكون الشيخ - رحمه اللّه - استند فى رميه كعباً وأضرابه بالكذب إلى حديث البخارى وهذا نصه : « قال أبو اليمان : أخبرنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى حميد بن عبد الرحمن : أنه سمع معاوية يُحَدِّث رهطاً من قريش بالمدينة ، وذكر كعب الأحبار فقال : إنه كان من أصدق هؤلاء المُحَدِّثين الذين يحدِّثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب »[1] .

نعم ، ربما يكون الشيخ استند إلى هذا الحديث الذى أعتقد أنه ما غاب عن ابن تيمية ، فقد قال الشيخ رشيد بعد كلامه السابق بقليل : « وقد عُلِمَ أن بعض الصحابة رووا عن كعب الأحبار الذى روى البخارى عن معاوية أنه قال : « إن كنا لنبلو عليه الكذب » ومنهم أبو هريرة وابن عباس »[2] .

وأرى - إن كان هذا هو مستند الشيخ - أنه قد فَنَّد قول نفسه بنفسه حيث أثبت - كما هو الواقع - أن أبا هريرة وابن عباس وغيرهما من الصحابة أخذوا عن كعب . وهل يعقل أن صحابياً يأخذ علمه عن كذّاب وضّاع بعد ما عُرِفَ عن الصحابة من التحرى والتثبت فى تحمل الأخبار ؟

نعم ، إن حديث البخارى الذى رواه عن معاوية رضى اللّه عنه يُشعر بادىء الرأى ولأول وهلة بنسبة الكذب إلى كعب ، ولكن لو رجعنا إلى شرّاح الحديث لوجدناهم جميعاً يشرحونه بما يبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأحبار ، وإليك بعض ما قيل فى ذلك :

قال ابن حجر فى الفتح عند قوله : « وإن كنا لنبلو عليه الكذب » : « أى يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به . قال ابن التين : وهذا نحو قول ابن عباس فى حق كعب المذكور : بدَّل مَن قبله فوقع فى الكذب قال : والمراد بالمحدِّثين - فى قوله : « إن كان من أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب » - أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم ، فكان يُحَدِّث عنهم ،

---

(١) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) فى كتاب التوحيد ، باب : قول النبى ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء » جـ ١٣ ص ٢٥٩

(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ١٠ .

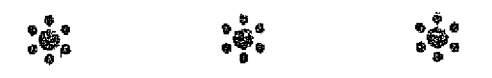
وكذا مَن نظر فى كتبهم فَحَدَّث عما فيها ، قال : ولعلهم كانوا مثل كعب ، إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه » ، ثم قال ابن حجر :

« وقال ابن حبان فى كتاب الثقات : أراد معاوية أنه يخطىء أحياناً فيما يُخبر به ، ولم يرد أنه كان كذّاباً ، وقال غيره : الضمير فى قوله : « لنبلو عليه » للكتاب لا لكعب ، وإنما يقع فى كتابهم الكذب لكونهم بدّلوه وحرّفوه . وقال عياض : يصح عوده على الكتاب ، ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده ، إذ لا يُشترط فى مسمى الكذب التعمد ، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب . وقال ابن الجوزى : المعنى : أن بعض الذى يُخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً، لا أنه يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار »[1] .

هذه هى الأقوال التى سردها لنا الحافظ ابن حجر ، ونحن نميل إلى القول بأن كعباً كان يروى ما يرويه على أنه من التوراة أو مما يتصل بها . فإن كان ما يرويه كذباً فهو منسوب إلى التوراة أو ما يتصل بها ، وليس له من ذلك إلا مجرد حكايته لمن يتحدث إليهم .

ثم إن معاوية الذى قال هذا القول ، روينا عنه فيما سبق أنه قال : « ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء ، إن كان عنده علم كالثمار[2] وإن كنا لمفرِّطين » فمعاوية - رحمه الله - قد شهد لكعب بالعلم وغزارته ، وحكم على نفسه بأنه فرَّط فى علم كعب ، فهل يعقل أن معاوية يشهد هذه الشهادة لرجل كذَّاب ؟ وهل يعقل أن يتحسر ويتندم على ما فاته من علم رجل يُدَلِّس فى كتب الله ويُحَرِّف فى وحى السماء ؟ .

اللّهم إن كعباً مظلوم من متهميه ، ولا أقول عنه إلا أنه ثقة مأمون ، وعالم استُغِل اسمه فنُسِبَ إليه روايات معظمها خرافات وأباطيل ، لتروج بذلك على العامة ، ويتقبلها الأغمار من الجهلة .



(١) فتح البارى جـ ١٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠. ط . الخيرية .

(٢) وفى رواية : كالبحار .

● وأما وهب بن منبه :

فقد أكثر من الإسرائيليات ، ونُسِبَ إليه قصص كثير ، فيه الغث والسمين ، والصحيح والعليل ، وكان ذلك مثاراً للنيل منه والطعن عليه ، حتى رُمِىَ بالكذب والتدليس وإفساد عقول المسلمين ، وقد مرَّ عند الكلام عن كعب الأحبار ما قاله فى حقه وحق وهب السيد محمد رشيد رضا والأستاذ أحمد أمين عليهما رحمة اللّه ، وما كان لى ولا لغيرى أن ينكر إكثار وهب من رواية الإسرائيليات، فذلك أمر تنطق به كتب التفسير والحديث التى تعنى بسرد الإسرائيليات ، ولكن الذى أنكره وينكره كل منصف أن تكون كل هذه الإسرائيليات - ومنها أباطيل كثيرة - صحيح نسبتها إليه ، فلو أننا عرضناها على قواعد المحدِّثين فى نقد الرواية والرواة لتبين لنا أن طائفة منها مكذوبة عليه ، وأن اسمه - لشهرته العلمية الواسعة بما فى كتب أهل الكتاب [1] - قد استُغِلَ واتُخِذَ مطيِّة لترويج الكذب وإذاعته بين الناس .

وما دام الأمر كذلك ، فليس لمنصف أن يتهمه بشىء من الكذب ، ولا أن ينسب إليه إفساد العقول وزعزعة العقائد ، ولا أن يُحَمِّله تبعة هذا الرواج للخرافات والأباطيل ، لأن غيره هم الذين أفسدوا بإدخالهم فى التفسير ما لا صلة له به ، ووضعهم الحديث أو الخبر ثم نسبته إليه ترويجاً للموضوع كما سبق !!

ولو أننا رجعنا إلى ما قاله العلماء النقَّاد فى شأن وهب لتبين لنا أنه رجل منزَّه عما رُمِىَ به ، مبرأ من كل ما يخدش عدالته وصدقه . قال الذهبى : «كان ثقة صادقاً ، كثير النقل من كتب الإسرائيليات » وقال العجلى : « ثقة تابعى ، كان على قضاء صنعاء » . وقال ابن حجر : « وهب بن منبه الصنعانى من التابعين ، وثَّقه الجمهور ، وشذ الفلاَّس فقال : كان ضعيفاً ، وكان شبهته فى ذلك أنه كان يُتْهَم بالقول فى القَدَر » . وقال أبو زرعة والنسائى : « ثقة » . وذكره ابن حبان فى الثقات ، والبخارى نفسه يعتمد عليه ويُوَثِقه . ونرى له فى

---

(١) رُوِىَ عنه أنه قال : « عبد اللّه بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب الأحبار أعلم أهل زمانه ، أفرأيت مَن جمع علمهما » ؟ (يريد نفسه) .

صحيح البخارى حديثاً واحداً عن أخيه همام عن أبى هريرة فى كتابة الحديث[1]، وتابعه معمر عن همام ، ولهمام هذا عن أبى هريرة نسخة مشهورة أكثرها فى الصحاح رواها عنه معمر . ويروى مثنى بن الصباح : أن وهباً لبث عشرين سنة لم يجعل بين العِشاء والصبح وضوءاً ... وغير هذا كثير مما يشهد لعدالة وهب وحسن إيمانه .

ونحن أمام توثيق الجمهور له ، واعتماد البخارى وغيره لحديثه ، وما ثبت عنه من الورع والصلاح ، لا نقول إلا أنه رجل مظلوم من متهميه ، ومظلوم هو وكعب من أولئك الذين استغلوا شهرة الرجلين ومنزلتهما العلمية فنسبوا إليهما ما لا يصح عنهما ، وشوَّهوا سمعتهما ، وعرَّضوهما للنقد اللاذع والطعن المرير !

وأنا على يقين أن هذا الرأى الذى أرتضيه فى الحكم على كعب ووهب سوف لا يُرضى بعض الذين تعقدت نفوسهم من ناحيتهما لكثرة ما نُسبَ إليهما من الإسرائيليات . والعاقل مَن لا تتحكم عقده النفسية فى حكمه العلمى ، والحكيم مَن حَكَّمَ عقله ولم يُحَكِّم هواه ، والألمعى من لا يتهم الناس بالظن وقد علم أن بعض الظن إثم ، والكَيِّس الفَطِنُ مَن اندفع مع الحجة الناصعة ولم يندفع وراء كل ناعق ، ورحم الله مَن حكم على الناس بما عرف من حقيقة أخلاقهم وسلوكهم ، لا بما تقول الناس عليهم ونسب المغرضون إليهم .

* * *

٣ - أشهر من عُرِفَ برواية الإسرائيليات من أتباع التابعين :

عرفنا - فيما سبق - أن الظاهرة الغالبة على عصر أتباع التابعين ، هى التساهل والتسامح فى رواية الإسرائيليات ، والإفراط فى الأخذ منها إلى درجة مزعجة ، جعلت البعض منهم لا يُحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن والسُنَّة كل ما يُرْوَى لهم منها ، ولو كان لا يتصوره عقل ولا يقره شرع .

---

(١) وهو قول أبى هريرة : « ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » : البخارى جـ ١ ص ٣٤ ط . الخيرية . ولنا أن نستنتج من كون البخارى أخرج له حديثاً واحداً رغم كثرة ما يُرْوَى منسوباً إليه أن أكثر ما نُسِبَ إليه أسانيده واهية وإلا لأخرج له البخارى أكثر من حديث .

ونرى أن نعرض لبعض علماء هذا العصر الذين اشْتُهِروا بالتفسير وكثرت رواياتهم للإسرائيليات ، لنعرف ما لهم وما عليهم حتى لا ينخدع أحد بما يُرْوَى عنهم من ذلك ، وحتى نُبَصِّر مَن انخدعوا بهم فتقبلوا كل مروياتهم ، لما فى نظرهم من المقامات العلمية العالية .

ونكتفى بالكلام عن محمد بن السائب الكلبى ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ومقاتل بن سليمان ، ومحمد بن مروان السدى .

● أما محمد بن السائب الكلبى :

فقد اشتهر بالتفسير ، وكان بجوار ذلك له معرفة بالأنساب والأخبار ، ومن أجل كونه أخبارياً كثرت رواياته الإسرائيلية فى التفسير والحديث ، بل لعل أهم أسباب إكثاره منها كونه يهودى النزعة ، فقد كان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى . قال ابن حبان : « كان الكلبى سبئياً من أولئك الذين يقولون : إن علياً لم يمت ، وإنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلاً كما مُلِئَتْ جوراً ، وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها »[1] .

وعن أبى عوانة قال : « سمعت الكلبى يقول : كان جبرائيل يملى الوحى على النبى ﷺ ، فلما دخل النبى ﷺ الخلاء جعل يملى على علىّ »[2] .

وكان الكلبى يقول عن نفسه : « أنا سبئى »[3] .

والسبئية قوم يكذبون ، ولقد حذَّر الأعمش منهم فقال : « اتق هذه السبئية فإنى أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذَّابين »[4] .

ومحمد بن السائب الكلبى على دين أصحابه : يكذب ولا يترفع ، ويضع الحديث ولا يتورع ، وكان الثورى يروى عنه ويُحَذِّر منه ، فيقول لأصحابه :

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٣ ص ٥٥٨ ط . الحلبى ، وانظر وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٣٧ . ط . السعادة .

(٢) المرجع السابق . (٣) نفس المرجع .

(٤) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٥٧ . ط . الحلبى .

اتقوا الكلبى ، فقيل له : إنك تروى عنه ، فيقول : أنا أعرف صدقه من كذبه [١] .

وقال البخارى : أبو النضر الكلبى تركه يحيى بن معين وابن مهدى . ثم قال البخارى : قال علىّ : حدثنا يحيى عن سفيان : قال لى الكلبى : كل ما حدثتك عن أبى صالح فهو كذب[٢] .

والكلبى مشهور بالتفسير - كما قلنا - وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع كما قال ابن عدى فى الكامل[٣] ، ومع ذلك فإن وُجِدَ مَن قال : رضوه فى التفسير[٤] ، فقد وُجِدَ مَن قال : أجمعوا على ترك حديثه وليس بثقة ، ولا يُكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع[٥] .

وقال السيوطى : « الكلبى اتهموه بالكذب ، وقد مرض فقال لأصحابه فى مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبى صالح كذب ، ومع ضعف الكلبى فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد منه ضعفاً ، وهو محمد بن مروان السدى الصغير ، وكثيراً ما يخرج من هذه الطريق الثعلبى والواحدى »[٦] .

وبعد .. فإذا كان هذا هو حال الكلبى ، وتلك هى شهادات علماء الحديث فيه ، فلا يجوز لأحد أن يُخْدَع بكل ما جاء عنه فى التفسير أو الحديث لكثرة ما فيه من المناكير والأباطيل .

* * *

---

(١) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٥٧ . ط . الحلبى

(٢) المرجع السابق .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ٢٢٤ ط . الكستلية .

(٤) قال ذلك ابن عدى ، فقد نقل الذهبى عنه فى ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٥٨ ما نصه : « وقد حدَّث عن الكلبى سفيان : وشعبة ، وجماعة ، ورضوه فى التفسير ، وأما الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبى صالح عن ابن عباس » ا . هـ .

(٥) التفسير - معالم حياته - منهجه اليوم ، للمرحوم الأستاذ أمين الخولى ص ٩ ط . دار العلمين ، وانظر خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨٨ (الأصل والهامش) ففيها كل هذه الأقوال منسوبة إلى قائليها من علماء الجرح والتعديل .

(٦) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى جـ ٦ ص ٤٢٣ ط . الميمنية .

● وأما عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج [1] :

فأصله رومى نصرانى ، أسلم على ما عنده من معارف مسيحية وأخبار إسرائيلية . ومسيحياته يروى الكثير منها ابن جرير فى تفسيره للآيات التى وردت فى شأن النصارى .

وابن جريج من أول مَن صنَّف الكتب فى الحجاز ، ويعدونه من طبقة مالك بن أنس وغيره ممن جمعوا الحديث ودوَّنوه . قال عبد اللّه بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى : مَن أول من صنَّف الكتب ؟ قال : ابن جريج وابن أبى عروبة . وقال ابن عيينة : سمعت أخى عبد الرزاق بن همام عن ابن جريج يقول : ما دوَّن العلم تدوينى أحد [2] .

وقد رُوِيَت عن ابن جريج أجزاء كثيرة فى التفسير عن ابن عباس : منها الصحيح ، ومنها ما ليس بصحيح ، وذلك لأنه لم يقصد الصحة فيما جمع ، بل روى ما ذُكِرَ فى كل آية من الصحيح والسقيم [3] .

ولم يظفر ابن جريج بإجماع العلماء على توثيقه وتثبته فيما يرويه ، وإنما اختلفت أنظارهم فيه وأحكامهم عليه ، فمنهم مَن وثَّقه ، ومنهم مَن ضعَّفه ، قال العجلى عنه : مكى ثقة . وقال سليمان بن النضر بن مخلد بن يزيد : ما رأيت أصدق لهجة من ابن جريج . وعن يحيى بن سعيد قال : كنا نسمى كتب ابن جريج كتب الأمانة ، وإن لم يحدثك بها ابن جريج من كتابه لم ينتفع به . وقال ابن معين : ثقة فى كل ما رُوِىَ عنه من الكتاب .

---

(1) عده ابن حجر فى كتابه « تقريب التهذيب » من التابعين حيث أدخله فى الطبقة السادسة ، وهم جماعة لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة وإنما عاصروا أهل الطبقة الخامسة . وهم الذين رأوا الواحد أو الاثنين من الصحابة - والأليق به أن يكون من طبقة كبار أتباع التابعين ، وقد جرينا على ذلك وجرى عليه كثير من العلماء - انظر ترجمة ابن جريج فى تقريب التهذيب ، وانظر مقدمة التقريب جـ ١ ص ٦ وهامشها حتى يتبين لك أن ما اخترناه هو الأولى .

(2) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٩٥

(3) الإتقان جـ ٢ ص ٢٢٤ ط . الكستلية .

وعن يحيى بن سعيد قال : كان ابن جريج صدوقاً ، فإذا قال : « حدثنى » فهو سماع ، وإذا قال : « أخبرنى » فهو قراءة ، وإذا قال : « قال » فهو شبه الريح . وقال الدارقطنى : تجنب تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس ، لا يُدَلِّس إلا فيما سمعه من مجروح .

وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتقنيهم ، وكان يُدَلِّس . وقال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال : أحد الأعلام الثقات ، يُدَلِّس ، وهو فى نفسه مُجْمَع على ثقته مع كونه قد تزوج نحواً من تسعين امرأة نكاح متعة ، وكان يرى الرُخصة فى ذلك ، وكان فقيه أهل مكة فى زمانه .

قال عبد اللّه بن أحمد بن حنبل : قال أبى : بعض هذه الأحاديث التى كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة ، كان ابن جريج لا يبالى من أين يأخذها ، يعنى قوله : أُخبِرتُ وحُدثتُ عن فلان [1] . وذكر الخزرجى فى خلاصة تذهيب الكمال (ص ٢٠٧) : أنه مُجْمَع عليه من أصحاب الكتب الستة [2] .

ولكن نرى الأستاذ أحمد أمين يذكر فى كتابه ضحى الإسلام (جـ ٢ ص ١٠٧) : أن البخارى لم يُوَثّقه ، وقال : إنه لا يُتَابَع فى حديثه ، ولا أدرى من أين استقى صاحب ضحى الإسلام هذا الكلام الذى عزاه إلى البخارى رضى اللّه عنه ؟

هذه هى نظرات العلماء إليه ، وتلك هى أحكامهم عليه ، ونرى أن كثيراً منهم يحكم عليه بالتدليس وعدم الثقة ببعض مروياته ، ومع هذا فقد قال فيه الإمام أحمد : إنه من أوعية العلم ، ونحن معه فى ذلك ، ولكنه وعاء لعلم امتزج صحيحه بعليله ، ولا نظن إلا أن الإمام أحمد يعنى ذلك بدليل ما تقدم عنه من قوله : « بعض هذه الأحاديث التى كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة ، وكان ابن جريج لا يبالى من أين أخذها » .

---

(١) ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٦٥٩ ط . الحلبى .

(٢) حيث رمز له بالحرف « ع » ومعناه فى اصطلاحه : أنه مجمع عليه من الكتب الستة .

وكان الإمام مالك رضى اللّه عنه يرى فيه أنه لا يبالى من أين يأخذ ، فقد رُوِىَ عنه أنه قال : ابن جريج حاطب ليل .

وأخيراً : فعلى المفسِّر أن يكون على حذر فيما يروى عن ابن جريج فى التفسير والحديث حتى لا يروى ضعيفاً أو يعتمد على سقيم (١) .

* * *

● وأما مقاتل بن سليمان :

فقد اشتهر بتفسير القرآن الكريم ، وأخذ الحديث عن جماعة من مشاهير التابعين ، منهم مجاهد بن جبر ، وعطاء بن رباح ، والضحاك بن مزاحم ، وعطية ابن سعيد العوفى . وقال الحربى : لم يسمع من مجاهد (٢) . وفى التهذيب : أنه لم يسمع من الضحاك ، فقد مات الضحاك قبل أن يولد مقاتل بأربع سنين (٣) .

ومقاتل بن سليمان متهم مجروح ، ولا نعلم أحداً من علماء عصره ناله مثل ما ناله من الطعن والتجريح ، ولقد كان لما عُرِفَ عنه من المذاهب الردية أثر بالغ فى انصراف الناس عن علمه عامة وعن تفسيره خاصة ، وإذا كنا قد وجدنا مقاتل بن حبان يقول : ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر (٤) ، ووجدنا مَن ينسب إلى الشافعى رضى اللّه عنه أنه قال : الناس عيال فى التفسير على مقاتل ، فقد وجدنا بجوار ذلك مَن اتهمه فى علمه ، وعاب تفسيره ، ومَن رماه بالكذب والوضع فى حديثه . ومَن قال عنه : إنه دجال ، جسور ، فاسد العقيدة .

والحق أن علم مقاتل بن سليمان ، علم شرُّه أكثر من خيره ، وضره أكبر من نفعه ، وإذا كان مقاتل بن حبان يقول : إن علمه كالبحر ، فكثيراً ما يحمل البحر الخَبث ، ويقذف بالغُثاء والزَّبد .

---

(١) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٩٧

(٢) خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٣١

(٣) هامش خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٣١

(٤) ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٤ ص ١٧٣

والحق - أيضاً - أن تفسير مقاتل يحوى من الإسرائيليات ، والخرافات ، وضلالات المشبهة والمجسمة ما ينكره الشرع ولا يقبله العقل ، وإذا كان حقاً ما نُسِبَ إلى الشافعى من قوله : الناس عيال فى التفسير على مقاتل ، فلست ألمح فى قوله هذا استحساناً لتفسيره ولا ثناءً عليه ، ولا أعقل من هذه العبارة : - وقد بلوتُ تفسير مقاتل - إلا أن الشافعى أراد أنه كان مرجعاً للمفسرين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم : وجد فيه المعتدلون الفهم السليم للنص القرآنى فاقتبسوه منه ، ووجد فيه أصحاب المذاهب الردية كالمشبهة والمجسمة ما يوافق هواهم فنقلوه عنه ، ووجد فيه المولعون بالقصص ورواية الأخبار معيناً فياضاً بالغرائب والأعاجيب فاستمدوا منه ما أشبع رغباتهم ووافق ميولهم .

وإذا كان هؤلاء هم عيال مقاتل على مائدة تفسيره ، فما أكثر المتخَمين منهم بالمناكير والأباطيل ، وما أقل مَن طوى صدره منهم على الحقيقة الناصعة والرأى السديد .

ما وجدنا أحداً من العلماء أثنى على تفسير مقاتل ، ومَن استحسن تفسيره منهم - وهو ابن المبارك - يحتاط فى تحسينه له حتى ليكاد ينفى عنه سمة الحسن حين يقول : « ما أحسن تفسيره لو كان ثقة » .

وهذا وكيع بن الجراح يُسئل عن تفسير مقاتل بن سليمان فيقول : لا تنظروا فيه ، فيقول السائل : ما أصنع به ؟ فيقول له : ادفنه [١] .

ويروى أبو عبد الله الذهبى عن أبى حاتم محمد بن حبان البستى أنه قال : « مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذى يوافق كتبهم ، وكان مشبهاً يُشَبِّه الرب بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث » [٢] .

وقد أكثر العلماء من تجريح مقاتل كما قلنا ، وإليك بعض أقوالهم :

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى جـ ٢ ص ١١١ ط . المنيرية .

(٢) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٤٣ ط . السعادة .

قال أحمد بن سيار عنه : « هو متروك الحديث ، ومهجور القول ، وكان يتكلم فى الصفات بما لا تحل الرواية عنه »(١) .

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى : « مقاتل بن سليمان كان دجالاً جسوراً »(٢) .

وقال أبو عبد الرحمن النسائى : « الكذّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة : ابن أبى يحيى بالمدينة ، والواقدى ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، ومحمد بن سعيد - ويعرف بالمصلوب - بالشام » (٣) .

وقال عمرو بن عليّ الفلاَّس : « مقاتل كذَّاب متروك الحديث » (٤) .

وقال البخارى : « مقاتل بن سليمان سكتوا عنه » ، وقال فى موضع آخر : « لا شىء ألبتة » (٥) .

وقال يحيى بن معين : « مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشىء »(٦) .

وقال أحمد بن حنبل : « مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبنى أن أروى عنه شيئاً »(٧) .

وقال أبو حنيفة : « أفرط جهم فى نفى التشبيه حتى قال : إنه تعالى ليس بشىء ، وأفرط مقاتل - يعنى فى الإثبات - حتى جعله مثل خلقه »(٨) .

وقال أبو معاذ الفضل بن خالد المروزى : سمعت خارجة بن مصعب يقول : «لم أستحل دم يهودى ، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشققتُ بطنه »(٩) .

وبعد .. فلست أرى مقاتل بن سليمان إلا راوية خرافات ، ومروِّج إسرائيليات ، يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن - كما يقول أبو حاتم

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ط . السعادة .

(٢) المرجع السابق . (٣) نفس المرجع . (٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه . (٦) المرجع نفسه . (٧) المرجع نفسه

(٨) ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٧٣ ط . الحلبى .

(٩) ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٧٥

محمد بن حبان البستى - فإذا انضم إلى ذلك كونه مبتدعاً ، وكاذباً ، ووضّاعاً ، طرحنا كل ما يُنسب إليه من روايات فى التفسير والحديث اللّهم إلا إذا صحت من طريق غير طريقه .

* * *

● وأما محمد بن مروان السدى [١] :

فهو تلميذ محمد بن السائب الكلبى ، والكلبى - كما سبق - سبئى ، كذّاب ، وضّاع ، وتلميذه السدى على شاكلته ، فقد قالوا عنه إنه يضع الحديث ، وذاهب الحديث متروك [٢] وقال البخارى : سكتوا عنه ، ولا يُكتب حديثه ألبتة [٣] . وقال ابن معين : ليس بثقة [٤] .

وقد ذكر السيوطى أن أوهى الطرق عن ابن عباس فى التفسير هى طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب [٥] .

وما دام هذا هو حال محمد بن مروان السدى ، فلا يجوز أن نخدع بكل ما جاء عنه فى التفسير كما خُدِعَ الثعلبى وغيره من المفسرين .

وبعد .. فهؤلاء هم أشهر من عُرِفَ برواية الإسرائيليات فى مراحل الرواية الثلاث ، وفيهم - كما تبين لك - عُدول ثقات لم يتورطوا فى رواية

---

(١) ويعرف بالسدي الصغير. وأما السدى الكبير ، فهو إسماعيل بن عبد الرحمن وهو مختلَف فيه ، وحديثه متروك عند مسلم وأهل السُنن الأربعة ، وهو تابعي شيعى ، وله تفسير ، قيل : إنه أمثل التفاسير ، وابن كثير يورد فى تفسيره كثيراً منه . انظر التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٧٩ ، والسدى نسبة إلى سدة مسجد الكوفة كان السدى الكبير يبيع بها المقانع - هامش ص ٣٠ من خلاصة تذهيب الكمال .

(٢) خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٠٦ وهامشها .

(٣) ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٣٣ (٤) المرجع السابق .

(٥) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٢٢٤ ط . الكستلية .

الإسرائيليات إلى الحد الذى يُفقدنا الثقة بهم وبمروياتهم ، وفيهم مَن تورَّطوا فى روايتها ، وانزلقوا إلى الكذب والاختلاق حتى لم نجد مَن يثق بهم ولا بمروياتهم إلا نفراً من المخدوعين .

وفى كتب التفسير والحديث من مرويات هؤلاء وهؤلاء شىء كثير ، من أجل ذلك نرى أن نعرض فى الفصل التالى لموقف كتب التفسير والحديث من الإسرائيليات حتى يتبين لنا خيارها من رذَّالها ، فنقول وباللّه التوفيق :



الفصل الثالث

الإسرائيليات فى كتب التفسير والحديث

أولا - الإسرائيليات فى كتب التفسير :

إذا نحن تتبعنا كتب التفسير على اختلاف مناهجها ، وتباين مشاربها ، وجدنا الكثير منها يذكر أصحابها فى مقدماتها مناهجهم التى نهجوها فى تفاسيرهم ، ووجدنا طائفة منهم غير قليلة تذكر من منهجها : أنها سوف تضرب صفحاً عن ذكر الإسرائيليات فى تفسيرها ، ومع ذلك نرى غالب هؤلاء الذين وعدوا بنبذ الإسرائيليات وعدم إقحامها تفاسيرهم يتورَّطون فى ذكرها ، لا ليُحَذِّروا منها ، ولا ليُنَبِّهوا على كذبها ، وإنما يذكرونها - وكأنها وقائع صادقة وحقائق مُسَلَّمة - بلا نقد لها ، وبغير أسانيدها التى تُيسر لمن ينظر فيها معرفة صدقها من كذبها .

بل لا أكون مبالغاً ، ولا متجاوزاً حد الصدق إن قلت : إن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات . وإن كان ذلك يتفاوت قلة وكثرة ، وتعقيباً عليها وسكوتاً عنها .

وإذا ما أردنا أن ننوِّع كتب التفسير على حسب مناهجها ، فى رواية الإسرائيليات ، وسكوتها عنها أو نقدها لها ، لوجدناها أنواعاً مختلفة :

١ - فمنها كتب تعرض للإسرائيليات فيذكر فيها مؤلفوها كل ما عندهم منها مقبولاً كان أم غير مقبول ، ولكنهم يسندون ما يُرْوَى من ذلك إلى رواته إسناداً تاماً ، تاركين لقارئيها والناظرين فيها - غالباً - مهمة نقدها ، عملاً بالقاعدة المقررة لدى علماء الحديث : « مَن أسند لك فقد حملك » .

٢ - ومنها كتب تعرض للإسرائيليات فترويها بأسانيدها ، ولكن لا يكتفى أصحاب هذه الكتب بذكر الأسانيد خروجاً من العهدة ، بل إنهم يتعقبون ما يروونه منها بالنقد الذى يكشف عن حقيقتها وقيمتها ، لأنهم يرون من تمام الخروج من العهدة أن ينقدوها بأنفسهم نقداً صريحاً ، لأن فى الناس ، مَن لا

يعرف أساليب نقد الرواية فلا ينفعه ذكر الإسناد وحده ولا يفيده ، وإنما ينفعه ويفيده النقد الصريح ممن لهم القدرة على النقد .

٣ - ومنها كتب تذكر من الإسرائيليات كل شاردة وواردة ، ولا تسند شيئاً من ذلك مطلقاً ، ولا تُعَقِّب عليه بنقده وبيان ما فيه من حق وباطل ، كأنما كل ما يُذكر فيها من ذلك مُسَلَّم لدى أصحابها رغم ما فى بعضها من سخف ظاهر . يصل أحياناً إلى درجة الهذيان ، وأحياناً أخرى يصل إلى خطل الرأى وفساد العقيدة .

٤ - ومنها كتب تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ، ولكنها - أحياناً - تشير إلى ضعف ما ترويه بذكره بصيغة التمريض « قيل » ، وأحياناً تصرح بعدم صحته ، وأحياناً تروى ما تروى من ذلك ثم تمر عليه دون أن تنقده بكلمة واحدة على ما فى بعض ذلك من باطل يصل أحياناً إلى حد القدح فى الأنبياء ونفى العصمة عنهم .

٥ - ومنها كتب تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ، وهى حين تذكرها لا تقصد - فى الأعم الأغلب - إلا بيان ما فيها من زيف وباطل ، وكأنما نظر أصحاب هذه الكتب فى تفاسير مَن سبقهم فنقلوا عنها بعض ما فيها لينبهوا على خطئه وفساده ، حتى لا يغتر به مَن ينظرون فى هذه الكتب ويرون لأصحابها من المكانة العلمية ما يجعلهم يُصَدِّقون كل ما جاء فيها .

٦ - ومنها كتب وجدنا أصحابها يحملون حملة شعواء على مَن سبقهم من المفسرين الذين تطرقوا فى تفاسيرهم إلى الإسرائيليات ، ويأخذهم الحماس أحياناً إلى حد النيل منهم وممن نسبوا إليه هذه الإسرائيليات ولو كان من خيار الصحابة أو التابعين ، ومع ذلك نجده - أحياناً كثيرة - ينزلق هو أيضاً إلى رواية الإسرائيليات كما انزلق إليها غيره ، وبدون تعليق عليها كأنما يرى مصدره الذى أخذ عنه واستمد منه ، صادقاً لا يكذب ، وصحيحاً لم تصل إليه يد التحريف والتبديل .

ولا نريد أن نعرض لكل كتب التفسير فى كل نوع من هذه الأنواع ، فذلك أمر يطول بنا ، وإنما يكفينا أن نذكر كتاباً أو كتابين فى كل منها كمثال يعطينا

فكرة واضحة عن الكتاب وعن مؤلفه ، حتى نكون على بيِّنة من أمرهما .

١ - فمن أشهر الكتب التى تذكر الإسرائيليات بأسانيدها ولا تنقد ما ترويه إلا قليلاً :

تفسير محمد بن جرير الطبرى[1]
المسمى « جامع البيان فى تفسير القرآن »

وهو تفسير بالمأثور ، وفيه نجد ابن جرير يروى كثيراً من الأخبار والقصص الإسرائيلى مُسْنَداً إلى كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وابن جريج وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب .

وإذا رجعنا إلى أسانيد ابن جرير فى تفسيره ، نجد بعضها يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، فمن ذلك هذا الإسناد الذى يسوقه فيقول :

« حدثنى ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى عتاب - رجل من تغلب - كان نصرانياً عمراً من دهره ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن ، وفَقِهَ فى الدين ، كان فيما ذُكِرَ أنه كان نصرانياً أربعين سنة ، ثم عَمَّر فى الإسلام أربعين سنة ... » ثم يروى عن هذا الرجل النصرانى الأصل خبراً عن بنى إسرائيل عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٧) من سورة الإسراء : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرواْ مَا عَلَواْ تَتْبِيراً ﴾ فيقول :

« كان آخر أنبياء بنى إسرائيل نبياً بعثه اللّٰه إليهم ، فقال لهم : يابنى إسرائيل ، إن اللّٰه يقول لكم : إنى قد سلبت أصواتكم وأبغضتكم بكثرة أحداثكم ، فهموا به ليقتلوه ، فقال اللّٰه تبارك وتعالى له : ائتهم واضرب لى

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى الإمام الجليل صاحب التفسير والتاريخ ، وُلِدَ سنة ٢٢٤ هـ ، وتوفى سنة ٣١٠ هـ - انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، وطبقات الشافعية الكبرى .

ولهم مثلاً ، فقل لهم : إن اللّه تبارك وتعالى يقول لكم : اقضوا بينى وبين كرمى ، ألم أختر له البلاد ، وطيبت له المدرة ، وحظرته بالسياج ، وعرشته السويق ، والشوك ، والسياج ، والعوسج ، وأحطته بردائى ، ومنعته من العالَم ، وفضلته ، فلقينى بالشوك والجزوع وكل شجرة لا تؤكل ؟

ما لهذا اخترت البلدة ، ولا طيبت المدرة ، ولا حظرته بالسياج ، ولا عرشته بالسويق ، ولا أحطته بردائى ، ولا منعته من العالَم . فضلتكم وأتممت عليكم نعمتى ، ثم استقبلتمونى بكل ما أكره من معصيتى وخلاف أمرى ، لمه ؟ .

إن الحمار ليعرف مدوده لمه ؟ إن البقرة لتعرف سيدها ، وقد حلفت بعزتى العزيزة ، وبذراعى الشديدة ، لآخذن ردائى ، ولأمرجن الحائط ، ولأجعلنكم تحت أرجل العالَم .

قال : فوثبوا على نبيهم فقتلوه ، فضرب اللّه عليهم الذل ، ونزع منهم الملك ، فليسوا فى أمة من الأمم إلا وعليهم ذل وصغار ، وجزية يؤدونها ، والملك فى غيرهم من الناس ، فلن يزالوا كذلك أبداً ما كانوا على ما هم عليه »[1] .

ومن الأسانيد التى تلفت النظر أيضاً هذا الإسناد الذى يسوقه عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٩٤) من سورة الكهف : ﴿ قَالُواْ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ ... الآية . قال :

« حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى بعض مَن يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذى القرنين : « أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر ، اسمه : مرزبا بن مردبة اليونانى من ولد يونن بن يافث بن نوح »[2] .

مثل هذا الإسناد والذى قبله يعطينا فكرة عن ابن جرير وهو أنه كان يهتم بأن يكون مصدره فى رواية الإسرائيليات من بين مَن لهم علم بها ومعرفة . فهو

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١٥ ص ٣٣ – ٣٤ ط . الأميرية .

(٢) المرجع السابق جـ ١٦ ص ١٤

لهذا ينبه على أن مصدره الذى ينسب إليه ما يروى ، رجل من أهل الكتاب الذين يسوقون أحاديث الأعاجم ، أو فلان الذى كان نصرانياً عمراً من دهره ثم أسلم . أما مَن هو الرجل ، فذلك ما يسكت عنه فى الرواية الثانية ، وأما ما وزنه فى باب الرواية ؟ وهل هو ثقة أو غير ثقة ؟ فذلك ما يمسك عنه فى الروايتين تبعاً لابن إسحاق وكلاهما مؤرخ ، والمؤرخ ينقل الأخبار على ما حُكِيَت له ، وقلَّما يعنيه أن يحققها أو يبين قيمتها ، وإذا كان هذا سائغاً فى التاريخ فلا أعتقد أنه سائغ فى التفسير الذى يجب أن نتحرى فيه الحقائق والوقائع الصادقة .

وابن جرير يروى فى تفسيره غرائب كثيرة ثم لا يتعقبها بنقد ، اكتفاءً بذكر أسانيدها ، ومن هذه الغرائب التى لا يتعقبها بنقد ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣٨) من سورة هود عليه السلام : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ ، قَالَ إِنْ تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ فَقَد قالَ :

« حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج عن مفضل بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم : لو بعثتَ لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها ، قال : فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم ، قال : هذا كعب حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه ، قال : فهم بإذن اللّه ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب ، قال له عيسى : أهكذا هلكتَ ؟ قال : لا ، ولكن مت وأنا شاب ، ولكنى ظننت أنها الساعة ، فمن ثَمَّ شِبْتُ .

قال : حدِّثنا عن سفينة نوح قال : كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب أوحى اللّه إلى نوح : أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على

الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح : أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر .

فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت ، قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها ، فعلم أن البلاد قد غرقت قال : فطوّقها الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثَمَّ تألف البيوت ، قال : فقلنا : يارسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم مَن لا رزق له ؟ قال : فقال له : عد بإذن الله ! قال : فعاد تراباً » [1] .

وابن جرير يروي في تفسيره أباطيل كثيرة ، يردها الشرع ولا يقبلها العقل ثم هو لا يُعَقِّب عليها بما يفيد بطلانها اكتفاءً بذكر أسانيدها كما قلنا ، ومن هذه الأباطيل التي يرويها ولا ينقدها ، قصة صخر المارد التي لو صحت لكان معناها حطم مقام نبوة سليمان عليه السلام ، وقد ذكر ابن جرير هذه القصة عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٤) من سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ فقال :

« حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة : قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ قال : حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنه ولا يُسمع فيه صوت حديد ، قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه ، فقيل له : إن شيطاناً في البحر يقال له « صخر المارد » ، قال : فطلبه ، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة ، فنزح ماؤها ، وجعل فيها خمر ، فجاء يوم وروده ، فإذا هو بالخمر فقال : إنك لشراب طيب إلا أنك تُصْبِين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلاً ، قال: ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً ثم أتاها فقال : إنك لشراب طيب إلا إنك تُصْبِين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلاً ، قال : ثم شربها حتى غلبت على عقله ،

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١٢ ص ٢٢

قال : فأُرِىَ الخاتم ، أو خُتِمَ به بين كتفيه فذل ، قال : فكان مُلكه فى خاتمه ، فَأُتِىَ به سليمان فقال : إنَّا قد أُمرنا ببناء هذا البيت ، وقيل لنا : لا يُسمعن فيه صوت حديد قال : فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد فدار حولها ، يرى بيضه ولا يقدر عليه ، فجاء بالماس فوضعه عليه ، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه ، فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة ، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمَّام لم يدخله بخاتمه ، فانطلق يوماً إلى الحمَّام وذلك الشيطان صخر معه ، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه ، قال : فدخل الحمَّام وأعطى الشيطان خاتمه ، فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ، ونُزِعَ مُلك سليمان منه ، فألقى على الشيطان شبه سليمان ، قال : فجاء فقعد على كرسيه وسريره ، وسُلِطَ على ملك سليمان كله غير نسائه ، قال : فجعل يقضى بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا : لقد فُتِنَ نبى الله ، وكان فيهم رجل يُشَبِهونه بعمر بن الخطاب فى القوة فقال : والله لأُجَرِبَنهُ ، قال : فقال له : يا نبى الله - وهو لا يرى إلا أنه نبى الله - أحدنا تصيبه الجنابة فى اللَّيلة الباردة ، فيدع الغُسل عمداً حتى تطلع الشمس ، أترى عليه بأساً ؟ قال : لا ، فبيَّنا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة ، فأقبل ، فجعل لا يستقبله جِنِىٌّ إلا سجد له ، حتى انتهى إليهم ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدَاً ﴾ قال : هو الشيطان صخر » اهـ [١] .

هذه القصة واضح كل الوضوح أنها كذب وافتراء ، فمحال أن يُلقى الله شبه سليمان عليه السلام على شيطان فيُلَبِّسْ على الناس أمر نبيهم ، ومحال أن يُمَكِّن الله شيطاناً من التسلط على مُلك سليمان فيتحكم فيه كيف شاء ، وما لنا نذهب فى تفسير الآية إلى هذه القصة التى لا أصل لها وقد روى البخارى عن رسول الله ﷺ ما يمكن أن تُحْمَل الآية عليه من غير أن نقول زوراً أو نرتكب محظوراً ؟ روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال سليمان بن داوود عليه السلام : لأطوفن اللَّيلة على مائة

---

(١) تفسير الطبرى حـ ٢٣ ص ١٠١ ط . الأميرية .

امرأة - أو تسع وتسعين - كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل اللّه ، فقال له صاحبه : إن شاء اللّه ، فلم يقل « إن شاء اللّه » فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذى نفسى بيده لو قال : « إن شاء اللّه » لجاهدوا فى سبيل اللّه فرسانا أجمعون » ا . هـ [١] .

ومن هذا القبيل الذى يزرى بالأنبياء عليهم السلام ويُشَكِّك فى نبوَّتهم ما رواه ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٨) من سورة مريم : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ﴾ قال :

« حدثنى موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط عن السدى قال : نادى جبرائيل زكريا : إن اللّه يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ، فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال : يا زكريا ، إن الصوت الذى سمعت ليس من اللّه ، إنما هو من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من اللّه أوحاه إليك كما يُوحِي إليك غيره من الأمر ، فشك وقال : أنَّى يكون لى غلام » ا . هـ [٢] .

وليس يخفى أن ما ذكره السدى باطل لا أصل له ، لأنه لا يجوز على نبى - مطلقاً - أن يشك فيما يُوحَى به إليه ، وإلا لذهبت الثقة فيه وفيما يدَّعيه وحياً .

ثم أنَّى يكون للشيطان سلطان على قلب زكريا عليه السلام ، واللّه تعالى يقول : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ؟ [٣] ألم يكن زكريا من عباد اللّه ؟ أم كان منهم ولكنه من الغاوين ؟ معاذ اللّه أن يكن إلا عبداً نبياً معصوماً من الشيطان وخداعه .

أما قول زكريا : أنَّى يكون لى غلام !! فقول يراد به التعجب لا الشك ... التعجب من أن يُولَد له ، وامرأته عاقر ، وهو قد بلغ من الكبر عتياً ، وتلك حال لا يكون معها ولادة فى العادة ، ومن أجل ذلك تعجَّب فقال هذه المقالة ، ومن

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب « الجهاد » ، - باب « طلب الولد للجهاد » جـ ٤ ص ٢٢ ط . الخيرية .

(٢) تفسير ابن جرير جـ ١٦ ص ٣٩ (٣) الحجر : ٤٢

أجله أيضاً تعجبت سارة زوج إبراهيم عليه السلام كما حكى القرآن عنها فقالت : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذا بَعْلِي شَيْخاً ، إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [1] ولذلك كان رد الملائكة عليها : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [2] وكان رد الله على زكريا : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ [3] ، وواضح كل الوضوح أن هذا رد على ما كان منه من تعجب واستغراب ولو كان زكريا عليه السلام شاكاً كما تقول الرواية الإسرائيلية لجاء الرد على نسق آخر .

ومن الأباطيل التي يرويها ابن جرير في تفسيره – وهي كما نبهنا عليه سابقاً في هامش (ص ١٤) دسيسة دسها على الإسلام يوحنا الدمشقي في عصر بني أمية – ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٧) من سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .. ﴾ ... الآية ، حيث يقول ما نصه :

« يقول الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتاباً من الله له : واذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية ، وأنعمت عليه بالعتق – يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ : – أمسك عليك زوجك واتق الله ، وذلك أن زينب بنت جحش – فيما ذُكر – رآها رسول الله ﷺ فأعجبته وهي في حبال مولاه ، فأُلقي في نفس زيد كراهتها ، لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع ، فأراد فراقها ، فذكر زيد ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ، وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها ﴿ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ وخف الله في الواجب عليك في زوجته ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ يقول : وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها ، والله مبد ما تُخفي في نفسك من ذلك ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾

---

(١) هود : ٧٢ (٢) هود : ٧٣ (٣) مريم : ٩

يقول تعالى ذكره : وتخاف أن يقول الناس : أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلّقها ، والله أحق أن تخشاه من الناس » ا . هـ [1] .

وهكذا يروى ابن جرير هذه القصة التى عزاها لغير معين حيث يقول : « فيما ذُكِر » ويبدو أنه ارتضاها تفسيراً للآية حيث لم يُعَقِّب عليها ، وحيث يقول بعد فراغه منها : وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل : ثم ساق روايات منها هذه الرواية : « حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ وهو زيد : أنعم الله عليه بالإسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْه ﴾ أعتقه رسول الله ﷺ ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيه ﴾ قال : وكان يَخفى فى نفسه ود أنه طَلقها »[2] .

وشبيه بما ذكره ابن جرير من قصة رسول الله ﷺ مع زينب بنت جحش ، قصة داوود عليه السلام مع زوجة أُوريا ، وقد ذكرها ابن جرير بروايات متعددة وبأسانيد مختلفة عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات من (٢١ - ٢٤) من سورة ص : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ .. ﴾ ... إلى قوله : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ .

وينتهى ابن جرير من رواية القصة بأسانيدها واختلاف متونها ، ولا ينبه على ما فيها من كذب وافتراء كما لم ينبه على ما فى قصة رسول الله ﷺ وزينب من كذب وافتراء ، وما كان يكفى فى مثل هذا المقام الدحض أن يقتصر ابن جرير على ذكر السند ، لأن فى الناس - كما قلنا - كثيرين لا يعرفون من أمر الأسانيد شيئاً ، ومن الناس مَن إذا رأى ابن جرير - على مبلغ علمه وجلالة قدره- يروى فى تفسيره مثل هذا ، أخذه على أنه حق وصدق ، واستباح لنفسه أن يفعل مثل ما نُسِبَ لداوود ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

ولقد رأينا مَن يفعل الخطيئة ، فإذا ما لِيمَ على خطيئته قال - فى رضا واطمئنان - إن الأنبياء يخطئون ويذنبون ، فقد كان من أمر محمد ﷺ مع زينب

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ٢٢ ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق .

كذا وكذا ، وكان من أمر داوود عليه السلام مع امرأة أوريا كذا وكذا ، فلم تلومني على خطيئتي ولست نبيا ؟ !!

وقد لاحظنا على ابن جرير أنه يتعقب - أحياناً - بعض ما يرويه بنقد إسناده ، ولكن نقده لا يكون مقصوداً به أولاً وبالذات تضعيف المروى أو تكذيبه، ولكن مقصوده الأصلى إنما هو تصحيح رأى فقهى أو لُغوى يراه فى النص القرآنى ويرى فى المروى ما يُعَكِّر عليه ، فهو لهذا يرده ويفنده .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٩٤) من سورة الكهف : ﴿ قَالُواْ يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداًّ ﴾ يقول ما نصه :

رُوِىَ عن عِكرمة فى ذلك - يعنى فى ضم سين « سداً » وفتحها - ما حدَّثنا به أحمد بن يوسف قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا حجاج ، عن هارون ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : ما كان من صنعة بنى آدم فهو السَد - بفتح السين ، وما كان من صَنع اللّه فهو السُد » - يعنى بضمها ، ثم يُعَقِّب ابن جرير على هذه الرواية بأن الفتح والضم قراءتان مستفيضتان متفقتا المعنى ، وأنه لا معنى للفرق الذى ذكره عِكرمة وغيره ، وأنه لا شاهد له فى كلام العرب .

ثم ينقد سند ما رُوِىَ عن عِكرمة فيقول : « وأما ما ذُكِرَ عن عِكرمة فى ذلك فإن الذى نقل ذلك عن أيوب هارون ، وفى نقله نظر ، ولا يُعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه »(١) .

وابن جرير لا يهتم بالبحث وراء بعض التفاصيل التى لا فائدة من معرفتها ، فهو لا يتلمسها فى الروايات الإسرائيلية كما هو شأن بعض المفسرين .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات (١١٢ - ١١٤) من سورة المائدة : ﴿ وَإِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؟ ... إلى قوله : ﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ نراه

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١٦ ص ١٣

يسوق الروايات الواردة فى نوع الطعام الذى نزلت به مائدة السماء ثم يُعَقِّب على هذا بقوله : « وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائز أن يكون سمكاً وخبزاً ، وجائز أن يكون ثمراً من ثمار الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضار الجهل به ، إذا أقر تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل »[1] .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٥٩) من سورة البقرة ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾ ... الآية ، نراه يسوق الروايات التى تُعَيِّن اسم الشخص الذى مَرَّ على القرية الخاوية ... ، وفى بعضها أنه العُزير ، وفى بعض آخر منها أنه أرمياء ، ثم يُعَقِّب على ذلك بقوله : « ... ولا بيان عندنا من الوجه الذى يصح منه البيان على اسم قائل ذلك ، وجائز أن يكون أرميا ، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة اللّه على إحيائه خلقه بعد مماتهم ، وإعادتهم بعد فنائهم ، وأنه الذى بيده الحياة والموت »[2] .

وخاتمة المطاف فى تفسير ابن جرير ، أنه من أنفع التفاسير ومن تمام نفعه أن يُجَرَّد مما فيه من الإسرائيليات ، أو يُنَبَّه على فساد ما فيه منها ، وحبَّذا لو هيأ اللّه لهذا التفسير من بين علمائنا مَن ينقد ما فيه من الروايات نقداً فاحصاً شاملاً حتى يتبين جيدها من رديئها ، ولقد يسَّر الطبرى هذه المهمة لمن يتصدون لها ، وذلك بذكره لأسانيد مروياته فى تفسيره .

* * *

(١) تفسير ابن جرير جـ ١٢ ص ١٠٣

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ١٨ - ١٩

٢ - ومن أشهر كتب التفسير التى تروى الإسرائيليات بأسانيدها ثم تعقب عليها ببيان ما فيها من أباطيل إلا نادراً :

تفسير الحافظ ابن كثير [١]

المسمى « تفسير القرآن العظيم »

وهو من أشهر كتب التفسير بالمأثور ، ويعتبر من هذه الناحية الكتاب الثانى بعد تفسير ابن جرير الطبرى ، وكثيراً ما ينقل عنه ، وهو يروى المأثورات بأسانيدها كما يفعل ابن جرير ، ولكنه يتميز عنه بنقد ما يرويه نقداً سليماً ، وبمهارة المحَدِّث البارع . الخبير بعلل الحديث ، ومواطن القوة أو الضعف فيه .

ومن أهم ما يمتاز به ابن كثير أنه يُنَبِّه على ما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وغرائبها ، ويُحَذِّر منها على وجه الإجمال تارة ، وعلى وجه البيان لما فيها من كذب وافتراء تارة أخرى .

وابن كثير مؤرخ ، والمؤرخون يتسامحون فى نقل الأخبار ، ويجمعون فى كتبهم بين الغث والسمين ، ومَن كان منهم مؤرخاً ومفسراً يغلب على تفسيره الجانب الإخبارى ، يرويه على أنه شرح لبعض ما أجمل القرآن ، أو يذكره استطراداً ولأدنى مناسبة ، كل هذا فى تسامح ، ولكن ابن كثير لم تكن فيه هذه الظاهرة ، فهو بجانب كونه مؤرخاً ومفسراً كان مُحَدِّثاً بارعاً - كما قلنا - خبيراً بعلل الحديث ومواطن القوة والضعف فيه ، فكانت ملكة المحَدِّث فيه تتحكم فى نزعته مؤرخاً ومفسراً ، فجملته حين يؤرخ يتوخى الصحة بقدر ما يمكن ويتجنب الجانب القصصى الخرافى ، وما يذكره من ذلك يُنَبِّه إلى أنه من الإسرائيليات التى لا أصل لها [٢] ، وكذلك حين يفسر يتوخى فى تفسيره

---

(١) هو الإمام الجليل الحافظ ، عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع ، البصرى ثم الدمشقى المفسِّر المحَدِّث والفقيه الشافعى ، ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، انظر ترجمته فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، وفى شذرات الذهب ، وفى طبقات المفسرين للداودى .

(٢) قال ابن كثير فى مقدمة تاريخه « البداية والنهاية » جـ ١ ص ٦ ط . السعادة ما نصه : « ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع فى نقله مما لا يخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، =

الصحيح ، وما يذكره من العليل ينقده ويكشف عن مواطن الضعف فيه ، وما يرويه من إسرائيليات يكشف عن زيفه وفساده ، ويُحَذِّر منه أبلغ التحذير .

وعلى الجملة فلم نَرَّ من المفسرين رجلاً كان له من قوة النقد للمأثورات وتمييز جيادها من زيوفها مثل ما كان لابن كثير رحمه اللّه [1] .

وإذا نحن تتبعنا ابن كثير فى تفسيره نجده حين يروى رواية غريبة تحتمل الصدق والكذب يكتفى بأن يُنَبِّه إلى احتمال كونها من الإسرائيليات التى أباح الرسول ﷺ التحديث بها ، ويُنَبِّه على أنه لا يجوز أن يُعتمد على مثل هذه المرويات إلا إذا كان لها ما يؤيدها فى شرعنا .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٦٧) وما بعدها من سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً .. ﴾ ..إلى آخر القصة ، نراه يقص لنا قصة طويلة وغريبة عن طلبهم للبقرة التى وصف اللّه لهم بعد ما سألوا عن صفتها ، وأنهم وجدوها عند رجل كان من أبَرِّ الناس بأبيه ، وأنهم ساوموه فيها حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً ، وأنهم ذبحوها وضربوا القتيل بالبضعة التى بين الكتفين فعاش ، فسألوه : مَن قتلك ؟ . إلخ .

ثم يسوق ابن كثير رواية أخرى لهذه القصة ، ثم يُعَقِّب على كل ما رواه فيها بقوله : « وهذه السياقات عن عبيدة ، وأبى العالية والسدى ، وغيرهم ، فيها اختلاف ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى إسرائيل ، وهى مما يجوز نقلها ، ولكن لا نُصَدِّق ولا نُكَذِّب ، فلهذا لا يُعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا واللّه أعلم »[2] .

= وهو القسم الذى لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلى به ، لا على سبيل الاحتياج إليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف بيَّنته ، واللّه المستعان وعليه التكلان » ا . هـ .

(١) وقريب من ابن كثير فى نقده للإسرائيليات أبو محمد بن عطية فى تفسيره « المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز » ، وأبو حيان فى تفسيره « البحر المحيط » .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٩ - ١١٠ ط . التجارية .

وحين يروى ابن كثير قصة فيها أعاجيب لا يقبلها العقل نراه يُبطلها ويكتفى بما جاء به القرآن مجملاً ..

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٠٢) من سورة البقرة : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْك سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ... ﴾ ... الآية ، نراه يذكر قصصاً فى منتهى الغرابة ، ثم ينهى ما رواه منها بقوله : « وقد رُوِيَ فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد ، والسدى ، والحسن البصرى ، وقتادة، وأبى العالية ، والزهرى ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حبان ، وغيرهم ، وقَصَّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح الإسناد إلى الصادق المعصوم الذى لا ينطق عن الهَوَىٰ ، وظاهر سياق القرآن ، إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده اللّه تعالى ، واللّه أعلم بحقيقة الحال » [١] .

وحين يروى ابن كثير رواية لا يصدقها العقل ولا يقرها الشرع لمصادمتها لبعض نصوصه نجده يُنكرها كل الإنكار ، ثم يبطلها فى براعة فائقة ودقة بالغة .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٢) من سورة المائدة : ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ نراه يذكر بعض ما رُوِيَ فى شأن هؤلاء الجبَّارين ، وما كان من طولهم وهيئة أجسامهم ، فينقل عن ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قال : « أمر اللّه موسى أن يدخل مدينة الجبارين ، قال : فسار موسى بمن معه حتى نزل قريباً من المدينة ، وهى أريحا ، فبعث إليهم اثنى عشر عيناً ، من كل سبط منهم عين ليأتوه بخبر القوم ، قال : فدخلوا المدينة ، فرأوا أمراً عظيماً : من هيئتهم ، وجسمهم ، وعظمتهم ، فدخلوا حائطاً لبعضهم ،

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤١

فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار من حائطه فجعل يجني الثمار وينظر إلى آثارهم ، فتبعهم ، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة ، حتى التقط الإثنى عشر كلهم فجعلهم في كسه مع الفاكهة وذهب بهم إلى ملكهم فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك : قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فأخبروا صاحبكم قال : فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم » .

ويُعَقِّب ابن كثير على هذه القصة بقوله : « وفي هذا الإسناد نظر » ثم يسوق روايات أخرى في وصف العماليق ، ثم ينهي كل ما روى في صفتهم بمنطقه السليم وحكمه القاطع على أنها كذب خارج عن نطاق الشرع والعقل فيقول :

« وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخباراً من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبَّارين . وأن منهم عوج ابن عنق بنت آدم عليه السلام ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراع وثلث ذراع ، تحرير الحساب ، وهذا شيء يُستحى من ذكره ، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن »[1] ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً ، وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح ، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته ، وهذا كذب وافتراء ، فإن الله تعالى ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ [2] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيناهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ * ثُمَّ أغْرَقْنَا بَعْدُ البَاقِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ ﴾ [4] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب « أحاديث الأنبياء » باب « خلق آدم وذريته » ، وفي أول كتاب الاستئذان - باب « بدء السلام » ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . والحديث هنا مختصر مما هو موجود في البخاري ومسلم . والضمير في لفظ « صورته » عائد إلى آدم ، ومعناه : ابتدأ خلقه كما وُجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة .

(٢) نوح : ٢٦ (٣) الشعراء : ١١٩ ، ١٢٠ (٤) هود : ٤٣

وإذا كان ابن نوح الكافر غرق ، فكيف يبقى عوج ابن عنق وهو كافر وولد زنية ؟ هذا لا يسوغ فى عقل ولا شرع ، ثم فى وجود رجل يقال له عوج ابن عنق نظر ، والله أعلم »[1] .

وكثيرا ما نرى ابن كثير يعرض كل الإعراض عن بعض القصص الإسرائيلى الذى يرويه بعض المفسرين فى تفاسيرهم ، ويرى أن الإمساك عن ذكره خير من روايته ، لأن الاشتغال به عبث لا فائدة فيه ، وبعض ما يُرْوَى من ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً لما يؤدى إليه من خلل فى العقائد وفساد فى الدين .

فمن ذلك مثلاً أنه عندما عرض لتفسير قوله تعالى فى الآية (٥١) من سورة الأنبياء : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ نراه يقول :

« يخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل ، أى من صغره ، ألهمه الحق والحجة على قومه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ [2] . وما يُذكر من الأخبار عنه فى إدخال أبيه له فى السرب وهو رضيع ، وأنه خرج بعد أيام فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبَصَّر فيها ، وما قصَّه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بنى إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة من ذلك ولا مخالفة ، لا نُصَدِّقه ولا نُكَذِّبه ، بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رَخَّصَ كثير من السَلَف فى روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة ولا حاصل له مما يُنتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلَّفين فى دينهم لبيَّنته هذه الشريعة الكاملة الشاملة . والذى نسلكه فى هذا التفسير ، الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ، ولما

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧ - ٣٨ ط . التجارية .

(٢) الأنعام : ٨٣

اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفّاظ المتقنون من هذه الأمة »[1] .

وعند تفسيره للآية (٣٧) من سورة الأحزاب : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ نجده يقول :

« ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها » ا . هـ [2] .

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات من (٢١ - ٢٤) من سورة ص : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ... إلى آخر القصة نجده يقول :

« قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده ، لأنه من رواية يزيد الرقّاشى عن أنس رضى الله عنه ، ويزيد وإن كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يُرَدَّ علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق ، وما تضمّن فهو حق أيضاً » ا . هـ [3] .

ولقد نجد ابن كثير يذكر فى تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية الغريبة ولا يُعَقِّب عليها ولا بكلمة واحدة رغم تحذيره الشديد فى مواطن كثيرة من تفسيره من رواية مثل هذه الإسرائيليات ، وما كنا نرضى له - وهو الإمام المحدِّث - أن يتورط فى رواية شىء من هذا القبيل ، حتى ولو كان مما يحتمل الصدق والكذب ، لأن الاشتغال بمثل هذا من قبيل تضييع الأوقات فيما لا فائدة فيه كما قرر هو ذلك أكثر من مرة فى تفسيره ..

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٥٨) من سورة البقرة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ... ﴾ ... إلى آخر الآية ،

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٨١ - ١٨٢ (٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٩١

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣١

نجده بعد ما ذكر أن الذى حَاجَّ إبراهيم عليه السلام هو ملك بابل : « نمروذ بن كنعان » ، أو « نمروذ بن فالخ » يقول ما نصه :

« ورُوِىَ عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أن النمروذ كان عنده طعام ، وكان الناس يفدون إليه للميرة ، فوفد إبراهيم فى جملة مَن وفد للميرة ، فكان بينهما هذه المناظرة ، ولم يعط إبراهيم من الطعام ، كما أعطى الناس ، بل خرج وليس معه شىء من الطعام ، فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عدليه ، وقال : أشغل أهلى عنى إذا قدمت إليهم ، فلما قدم وضع رحاله ، وجاء فاتكأ فنام ، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاماً طيباً ، فعملت طعاماً ، فلما استيقظ إبراهيم وجد الذى قد أصلحوه ، فقال : أنَّى لكم هذا ؟ قالت : من الذى جئتَ به ، فعلم أنه رزق رزقهم الله عز وجل . قال زيد بن أسلم : وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار مَلَكاً يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ، ثم دعاه الثانية فأبى ، ثم الثالثة فأبى ، وقال : اجمع جموعك ، وأجمع جموعى ، فجمع النمروذ جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، وأرسل الله عليهم باباً من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلّطها الله عليهم ، فأكلت لحومهم ودماءهم ، وتركتهم عظاماً بادية ، ودخلت واحدة منها فى منخرى الملك ، فمكثت فى منخرى الملك أربعمائة سنة عذّبه الله بها ، فكان يضرب رأسه بالمرازب فى هذه المدة حتى أهلكه الله بها » ا . هـ [1].

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٠) من سورة طه : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ تراه يقول ما نصه :

« وقال وهب بن منبه فى قوله : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ قال : فألقاها على وجه الأرض ، ثم حانت منه نظرة ، فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون ، يدب يلتمس ، كأنه يبتغى شيئاً يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها ، ويطعن بالناب من أنيابه فى أصل الشجرة العظيمة

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣١٣ - ٣١٤

فيجتثها ، عيناه تتقدان ناراً ، وقد عاد المحجن منها عرفاً ، قيل : شعره مثل النيازك ، وعاد الشعبتان فماً مثل القليب الواسع ، فيه أضراس وأنياب لها صريف ، فلما عاين ذلك موسى ، ولَّىٰ مدبراً ولم يُعَقِب ، فذهب حتى أمعن ، ورأى أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه فتوقف استحياءً منه ، ثم نودى : يا موسى أن ارجع حيث كنت ، فرجع موسى وهو شديد الخوف ، فقال : خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف ... فلما أمره بأخذها لَفَّ طرف المدرعة على يده فقال له مَلَك : أرأيتَ يا موسى لو أذن الله بما تحاذر ، أكانت المدرعة تُغنى عنك شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنى ضعيف ومن ضعف خُلقْت ، فكشف عن يده ، ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ، ثم قبض فإذا هى عصاه التى عهدها ، وإذا يده فى موضعها الذى كان يضعها إذا توكأ بين الشُعبتين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ ﴾ أى إلى حالها التى تُعرف قبل ذلك » ا . هـ [١] .

يروى ابن كثير - وهو الناقد البصير - هاتين القصتين الإسرائيليتين ولا يُعَقِّب عليهما ولا بكلمة واحدة . ولكن مهما يكن من شىء فابن كثير خير مَن رأينا من المفسرين موقفاً من الإسرائيليات ، فهو يتعقبها إلا ما ندر ، ويُبَيِّن ما فيها من زيف وفساد ، وليت لنا من ينقد ما فى كتب التفسير من روايات إسرائيلية وغير إسرائيلية على طريقة ابن كثير ومنهجه ... إذن لكان قد أسدى إلى المشتغلين بالتفسير فضلاً لا يُنسى ، وجميلاً لا يُجحد .

* * *

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٤٥ .

٣ - ومن أشهر كتب التفسير التى تذكر من الإسرائيليات كل شاردة وواردة ولا تسند شيئاً من ذلك ، ولا تُعَقِّب عليه بنقده وبيان ما فيه من حق وباطل :

تفسير « مقاتل بن سليمان »[١]

وقد حقق هذا التفسير بعض الأفاضل من زمن قريب[٢] ، وقد قرأت فى هذاالتفسير ، فرأيته قد حوى كل غريب وغريبة ، ووجدت فيه قصصاً إسرائيلية فيها باطل كثير ، ولم أجده يروى ما يذكره من ذلك ولا من غيره مسنداً ، اللَّهم إلا فى مواضع قليلة يكون إسناده فيها - غالباً - إلى رجال متهمين بالكذب ووضع الأحاديث ، كإسناده إلى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، وقد نقلنا - فيما سبق - عن السيوطى : أن الكلبى مرض فقال لأصحابه فى مرضه : كل شىء حدثتكم عن أبى صالح كذب .

ومن أمثلة ما جاء فى تفسير مقاتل بن سليمان من القصص الإسرائيلى الذى لا يعدو أن يكون من قبيل الخرافات ، ما قاله فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قٓ ﴾ فى أول سورتها ، ونصه :

« وقاف : جبل من زمردة خضراء ، محيط بالعالَم ، فخضرة السماء منه ، ليس من الخلق شىء على خلقه ، وتنبت الجبال منه ، وهو وراء الجبال ، وعروق

---

(١) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الخراسانى المتوفى سنة ١٥٠ هـ تقدم ذكره . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان وفى تهذيب الأسماء واللّغات .

(٢) حقق تفسير « مقاتل » السيد الدكتور عبد اللّه شحاتة ، ونال به درجة الدكتوراة من مدة قريبة من كلية دار العلوم ، وأنا فى شك من كونه تفسير مقاتل ، فالعصر الذى عاش فيه مقاتل كان عصر إسناد حتى من الوضَّاعين ، وما وجدنا فى تفسير مقاتل إسناداً إلا نادراً ، وكثيراً ما يرد فى هذا التفسير عبارة : « قال أبو محمد : قال الفراء : كذا وكذا » وأحيانا ترد عبارة : « قال الفراء » فى سياق التفسير وفى صلبه وكأنما قائل هذه العبارة هو المفسر نفسه ، ولا يعقل أن يكون مقاتل بن سليمان لأنه توفى سنة ١٥٠ هـ ، والفراء ولد سنة ١٤٤ هـ وتوفى سنة ٢٠٧ هـ فكيف يروى عنه - أغلب الظن أن هذا التفسير من عمل بعض المتأخرين عن عصر مقاتل ، جمع فيه ما روى عنه فى التفسير ، وضم إليه من رأيه ومن أقوال غيره ما رآه مكملا له أو موضحاً لبعض ما فيه . والتفسير مكتوب على الآلة الكاتبة ومنه نسخة مودعة فى مكتبة كلية دار العلوم وهى التى رجعنا إليها ، وفيها اضطراب فى بعض عباراتها ، وتحريف فى بعض ألفاظها .

الجبال كلها من « قاف » ، فإذا أراد اللّه تعالى زلزلة أرض أوحى إلى المَلك الذي عنده ، أن يحرك عرقاً من الجبل ، فتتحرك الأرض الذى يريد ، وهو أول جبل خُلِقَ ، ثم أبو قبيس بعده ، وهو الجبل الذى الصفا تحته ، ودون « قاف » بمسيرة سنة جبل تغرب فيه الشمس ، يقال له « الحجاب » . فذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالحِجَاب ﴾ [١] يعنى بالجبل . وهو من وراء حجاب ، وله وجه كوجه الإنسان ، وقَلبَ كقلوب الملائكة فى الخشية للّه تعالى ، وهو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه ، والحجاب دون « قاف » بمسيرة سنة ، وما بينهما ظلمة ، والشمس تغرب من وراء الحجاب فى أصل الجبل ، فذلك قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَاب ﴾ يعنى بالجبل ، وذلك قوله فى مريم : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً ﴾ [٢] يعنى جبلا » ا . هـ [٣]

وفى الكلام تكرار ظاهر ، واضطراب فى العبارة ، وتفسيره غير مقبول .

وفى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ فى أول سورتها يقول ما نصه :

« الويل : واد فى جهنم ، بعده مسيرة سبعين سنة ، فيه تسعون ألف شعب ، فى كل شعب سبعون ألف شق ، فى كل شق سبعون ألف مغار ، فى كل مغار سبعون ألف قصر ، فى كل قصر سبعون ألف تابوت من حديد ، وفى التابوت سبعون ألف شجرة ، فى كل شجرة سبعون ألف غصن من نار ، فى كل غصن سبعون ألف ثمرة ، فى كل ثمرة دودة طولها سبعون ذراعاً ، تحت كل شجرة سبعون ألف ثعبان ، وسبعون ألف عقرب ، فأما الثعابين فطولهن مسيرة شهر ، فى الغلظ مثل الجبل ، وأنيابها مثل النخل ، وعقاربها مثل البغال الدَهم . لها ثلاثمائة وستون فقاراً ، فى كل فقار قُلة سم » ا . هـ [٤] .

وفى تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٠) من سورة الدهر : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾ نراه يقول ما نصه : « وذلك أن الرجل من أهل الجنة له قصر ، فى ذلك القصر سبعون قصراً ، فى كل قصر سبعون بيتاً ،

---

(١) سورة ص : ٣٢
(٢) مريم : ١٧
(٣) تفسير مقاتل المجلد الثاني ص ١٤٤٤
(٤) تفسير مقاتل المجلد الثاني ص ١٧١٢

كل بيت من لؤلؤة مجوَّفة ، طولها فى السماء فرسخ ، وعرضها فرسخ ، عليها أربعة ألف مصراع من ذهب ، فى ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدر والياقوت ، عن يمين السرير وعن يساره أربعون ألف كرسى من ذهب ، قوائمها ياقوت أحمر ، على ذلك السرير سبعون فراشاً ، كل فراش على لون . وهو جالس فوقها ، وهو متكىء على يساره عليه سبعون حُلّة من ديباج ، الذى يلى جسده حريرة بيضاء ، وعلى جبهته إكليل مكلّل بالزبرجد والياقوت ، وألوان الجواهر كل جوهرة على لون ، وعلى رأسه تاج من ذهب ، فيه سبعون ذؤابة ، فى كل ذؤابة دُرَّة تساوى مال المشرق والمغرب ، وفى يديه ثلاثة أسورة : سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ ، وفى أصابع يديه ورجليه خواتم من ذهب وفضة ، فيه ألوان الفصوص ، وبين يديه عشرة آلاف غلام ، لا يكبرون ولا يشيبون أبداً ، ويوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حمراء ، طولها ميل فى ميل ، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة ، فى كل إناء سبعون لوناً من الطعام ، يأخذ اللُّقمة بيديه ، فما يخطر على باله حتى تتحوَّل اللُّقمة عن حالها إلى الحال التى يشتهيها ، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من ذهب وإناء من فضة ، معهم الخمر والماء ، فيأكل على قدر أربعين رجلاً من الألوان كلها ، كلما شبع من لون من الطعام سقوه شربة مما يشتهى من الأشربة ، فيتجشى ، فيفتح اللّه تعالى عليه ألف باب من الشهوة من الشراب ، فيدخل عليه الطير من الأبواب كأمثال النجائب ، فيقومون (هكذا بالأصل) بين يديه صفاً ، فينعت كل نفسه بصوت مطرب لذيذ ، ألذ من كل غناء فى الدنيا ، فيقول : يا ولى اللّه ، كُلنى ، إنى كنت أرعى فى روضة كذا وكذا من رياض الجنة ، فيحلون عليه أصواتها (هكذا بالأصل) ، فيرفع بصره فينظر إليهم ، فينظر إلى أزهاها صوتاً ، وأجودها نعتاً فيشتهيها ، فيعلم اللّه ما وراء شهوته فى قلبه من حبه ، فيجىء الطير فيقع على المائدة ، بعضه قديد ، وبعضه شواء ، أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، فيأكل ، حتى إذا شبع منها واكتفى، طارت طيراً كما كانت ، فتخرج من الباب الذى كانت دخلت منه ، فهو على الأرائك ، وزوجته مستقبلة ، يبصر وجهه فى وجهها من الصفاء والبياض ،

كلما أراد أن يجامعها ينظر إليها فيستحى أن يدعوها ، فتعلم ما يريد منها زوجها ، فتدنو إليه فتقول : بأبى وأمى ، ارفع رأسك وانظر إلىّ ، فإنك اليوم لى وأنا لك ، فيجامعها على قوة مائة رجل من الأوَّلين ، وعلى شهوة أربعين رجلاً ، كلما أتاها وجدها عذراء ، لا يغفل عنها مقدار أربعين يوماً ، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها فيزداد حباً لها ، فيها أربعة آلاف وثمانمائة زوجة مثلها ، لكل زوجة سبعون خادماً وجارية » [1] .

وهكذا يذكر مقاتل من خرافاته وترهاته بدون إسناد وبغير نقد ما يجعله تفسيراً لكلام اللّه تعالى ، وما كان كلام اللّه بحاجة إلى مثل هذا الهراء الذى لا يليق بعاقل أن يذكره مجرد ذكر ، فضلاً عن أن يشرح به كتاب اللّه عز وجل !! ولكنه مقاتل بن سليمان الذى عرفناه - فيما سبق - كذَّاباً ، وضَّاعاً ، فاسد العقيدة .

وأدهى من ذلك وأمر أن نرى مقاتل بن سليمان يذكر فى غير موضع من تفسيره بعض ما دُسَّ على الإسلام من أباطيل ، يذكرها دون أن يسندها وينتهى منها من غير أن يُفَنِّدها ، كأنما صحت عنده ، وكأنه لا يرى فيها عاباً ولا ذاماً !! ..

نقرأ تفسير مقاتل لقوله تعالى فى الآية (٣٧) من سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ ... الآية ، فنجده بعد ما ذكر من أمر خطبة زينب لزيد ، وتمنعها أول الأمر ، ثم قبولها الزواج منه نزولاً على أمر اللّه ورسوله ، يقول ما نصه :

« ودخل بها - يعنى بزينب - زيد ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى شكا إلى النبى ﷺ ما يلقى منها ، فدخل النبى ﷺ فوعظها ، فلما كلمها أعجبه حسنها وظرفها ، وكان أمراً قضاه اللّه عز وجل ، ثم رجع النبى ﷺ وفى نفسه منها ما شاء اللّه عز وجل ، فكان النبى ﷺ يسأل زيداً بعد ذلك : كيف هى معك ؟

---

(١) تفسير مقاتل - المجلد الثانى ص ١٦٦١ - ١٦٦٣

فيشكوها إليه ، فقال له النبى ﷺ : اتقِّ اللّه ، وأمسك عليك زوجك ، وفى قلبه غير ذلك » .. ثم يقول :

« ثم إن النبى ﷺ أتى زيداً فأبصر زينب قائمة ، وكانت حسناء بيضاء ، من أتم نساء قريش فهويها النبى ﷺ فقال : سبحان مُقَلِّبُ القلوب ، ففطن زيد فقال : يا رسول اللّه ، ائذن لى فى طلاقها فإن فيها كبراً ، تعظم علي وتؤذينى بلسانها ، فقال النبى ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق اللّه ، ثم إن زيدا طلقها بعد ذلك ، فأنزل اللّه عز وجل ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ﴾ يا محمد ﴿ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بالعتق ، وكان زيد أعرابياً فى الجاهلية مولى فى الإسلام ، سُبِىَ فأصابه النبى ﷺ فأعتقه ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ ﴾ يعنى وتُسِرُّ فى قلبك يا محمد : ليت أنه طلقها ﴿ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ يعنى مُظْهِرُه عليك حين ينزل به قرآن ، ﴿ وَتَخْشَى ﴾ قالة ﴿ النَّاسَ ﴾ فى أمر زينب ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ فى أمرها ، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية على الناس بما أظهره اللّه عليه من أمر زينب إذ هويها » .

ثم يمضى مقاتل فى تفسيره للآيات إلى أن يصل إلى قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ فيقول :

« هكذا كانت سُنَّة اللّه فى الذين خلوا من قبل محمد ، يعنى داوود النبى ﷺ حين هوى المرأة التى فُتِنَ بها ، وهى امرأة أُوريا بن حنان ، فجمع اللّه بين داوود وبين المرأة التى هويها . وكذلك جمع اللّه عز وجل بين محمد ﷺ وبين زينب إذ هويها ، كما فعل بداوود عليه السلام ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ فقدر اللّه عز وجل لداوود ومحمد تزويجهما » ا.هـ (١) .

.. يا عجباً كل العجب لمقاتل !! كيف طوّعت له نفسه أن يقول كل هذا فى رسول اللّه ﷺ ، ورسول اللّه ﷺ كان يعرف زينب قبل أن يزوجها مولاه زيداً ، فهى ابنة عمته ، ولو كان له فيها رغبة لخطبها لنفسه قبل أن يخطبها لزيد ،

---

(١) تفسير مقاتل - المجلد الثانى ص ١١٧٩ - ١١٨١

وقبل أن يدخل بها ، أما أن تقع فى نفسه بعد ما قضى زيد منها وطراً ، وأما أن يقول لزيد : أمسك عليك زوجك وكل أمنيته أن يُطلِّقها زيد ليتزوجها هو من بعده ، فذلكَ ما أُعيذ منه رسول الله ﷺ ، لأنه يحطم جانب العصمة فيه ، والعصمة فى الأنبياء شرط لازم .

ومما لا يكاد ينقضى منه العجب ، أن مقاتلاً برَّر فريته على رسول الله ﷺ بفرية مثلها ، نسبها إلى داوود عليه السلام ، اختصرها هنا . وبسطها من غير تحرج ولا تأثم عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة ص : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ .. ﴾ .. إلى قوله : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ (الآيات من ٢١ - ٢٤) .

وعند تفسير مقاتل لقوله تعالى فى سورة الحج : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ... ﴾ إلى آخر الآيتين (٥٢ - ٥٣) نجده يفسر التمنى بالتحدث ، و ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ : أي فى حديثه ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ [١] أى إلا ما يُحَدِّثون به عنها يعنى التوراة ، ثم يقول ما نصه :

« وذلك أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الصلاة عند مقام إبراهيم ﷺ فنعس فقال : « أفرأيتم اللأت والعزَّى ، ومَنَاة الثالثة الأخرى ، تلك الغرانيق العُلا ، عندها الشفاعة تُرتجى » ، فلما سمع كفار مكة أن لآلهتهم شفاعة فرحوا ، ثم رجع النبى ﷺ فقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَىٰ * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [٢] ، فذلك قوله سبحانه : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ ا . هـ [٣] .

---

(١) البقرة : ٧٨ .   (٢) النجم : ١٩ - ٢٢

(٣) المجلد الثانى : ولم نذكر رقم الصفحة - وكثيراً ما نترك ذكرها - لأن النسخة التى بأيدينا من تفسير مقاتل ليست كل أوراقها مرقمة - والأمر هين .

ونجد مقاتلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة النجم : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ... ﴾ (الآيات من ١٩ - ٢٢) ، يقول مثل كلامه السابق ، ويُصَرِّح بأن الشيطان هو الذى ألقى هذه الزيادة : « تلك الغرانيق العُلا ، عندها الشفاعة ترتجى » على لسان النبى ﷺ وفى قراءته ، وهذا كلام ساقط لا أصل له ، ولا أعتقد إلا أنه دسيسة دسَّها على الإسلام أعداؤه من اليهود أو غيرهم ، وراجت لدى مقاتل بن سليمان - كما راجت لدى نفر من المفسرين - فنقلها فى تفسيره ولم يُعَقِّب عليها ولا بكلمة واحدة تفيد بطلانها ، وما كان اللّٰه ليلقى النعاس على نبيه فى صلاته ، ثم يُسَلِّط عليه الشيطان فيُلقى على لسانه ما ليس قرآناً، وهو الذى تكفل بحفظ القرآن حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١] .

وضمن لنبيه ﷺ جمعه له فى صدره ، وقراءته على لسانه كما نزل به جبريل بقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ [أى بلسان جبريل لا بلسان الشيطان] فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [٢] ..

وقد سبق أن بينا أن قصة الغرانيق لم تثبت من طريق صحيح ، وأنها من وضع الزنادقة .

وإذا كنا نرى مقاتل بن سليمان يُسَوِّد صفحات تفسيره ، بمثل ما تقدَّم من خرافات وأباطيل ، فإنَّا نراه يعنى عناية لم نرها لغيره من المفسرين ، بتفسير ما لا فائدة لنا من تفسيره ، ويشغل بتوافه لا يعدو أن يكون الاشتغال بها عبثاً ولهواً .

نراه يعرض لتفسيره الآيات الواردة فى قصة قتيل بنى إسرائيل من سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً .. ﴾ (الآيات من ٦٧ - ٧٣) فيذكر أن اسم المقتول « عاميل » والبعض الذى ضُرِبَ به هو فخذ البقرة اليمنى [٣] .

---

(١) الحجر : ٩ (٢) القيامة : ١٧ - ١٩

(٣) تفسير مقاتل - المجلد الأول ص ٢٣

ونراه يعرض لتفسير الآيات الواردة فى شأن أصحاب الكهف : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ (الآية ١٠ وما بعدها إلى آخر القصة فى سورة الكهف) ، فيعنى بشكل ملحوظ ببيان ما فيها من المبهمات التى لا حاجة بنا إلى معرفتها ، والتى لم يرد تعيينها من طريق صحيح ، فيذكر أن اسم الملك الذى فرَّ منه الفتية « دقيوس » واسم الكهف الذى أووا إليه « بانجلوس » واسم الكلب الذى تبعهم « قطمير » !!

ويعرض لقصة الخضر مع موسى عليه السلام ، فيذكر عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٧٤) من سورة الكهف : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ ... ﴾ أن اسم الغلام « حسين بن كازرى » واسم أُمه « سهرى » وأن الخضر قتل الغلام بحجر! وكأنه لم يكف مقاتلاً أن عيَّن آلة القتل فأضاف : إن لون الحجر كان أسود [١].

ويعرض مقاتل لتفسير قوله تعالى فى الآية (١٨) من سورة النمل : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ ... ﴾ فيذكر أن النملة التى خاطبت جماعة النمل اسمها « الجرمى » ولاَ أدرى ، لِمَ لَمْ يُعيِّن لنا مقاتل ، أذكراً كانت النملة أم أُنثى ؟ !

ويمضى مقاتل فى هذا العبث فى مواضع كثيرة من تفسيره ، فيذكر أن الذى صنع التابوت لأم موسى لتضعه فيه عندما تُلقيه فى اليِّم ، كان رجلاً مؤمناً ، وأن اسمه « حزبيل بن صابوث » [٢] .

ويذكر أن عصا موسى كانت من الآس وأن اسمها « نفعة » ، وأن الحية التي انقلبت عن العصا كانت ذكراً أشعر له عُرف [٣] .

ويذكر أن الكبش الذى فدى اللّه به الذبيح - وهو على ما فى تفسيره إسحاق لا إسماعيل - اسمه « رزين » وأنه كان من الوعل ، وأنه رعى فى الجنة أربعين سنة قبل أن يُذبح [٤] !!

---

(١) تفسير مقاتل - المجلد الأول ص ٨٢٧ (٢) المرجع السابق - المجلد الثانى ص ٨٦٩

(٣) نفس المرجع - المجلد الثانى ص ٨٦٨ (٤) نفس المرجع - المجلد الثانى ص ١٢٥٢

وكأنى بمقاتل لم يرضه أن يستأثر هو بهذا الهراء والعبث فذهب يكذب على رسول الله ﷺ ، وينسب إليه شيئاً من ذلك ، فعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٠) من سورة التحريم : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ ... ﴾ ... الآية يقول ما نصه :

« قالت عائشة رضى الله عنها : كيف لم يسمهما الله تعالى ؟ قال النبى ﷺ : لبغضهما - يعنى امرأة نوح وامرأة لوط - قالت عائشة : فما اسمهما ؟ فأتاه جبريل ﷺ فقال : أخْبِر عائشة رضى الله عنها - أن اسم امرأة نوح «والغة » واسم امرأة لوط « والهة » [١] .

ولست أدرى هل تحوّل بُغض الله لهما إلى حب حتى ذكر اسمهما ؟ أم أن الله سارع لعائشة فى هواها فسماهما لها وهو كاره ؟ !! ...

وبعد ... فإذا كان ما تقدّم بعض ما فى تفسير مقاتل من أباطيل فكيف يعقل أن يقول الشافعى - رحمه الله - : الناس عيال فى التفسير على مقاتل ؟ لا أعتقد - كما قلت سابقاً - أن الشافعى رحمه الله يقول هذه المقالة ، اللّهم إلا إذا كان يقصد بها ما شرحناها به سابقاً ، أو لعله كان يقصد مقاتل بن حبّان ، وهو معروف بالتفسير وقال عنه النووى : « اتفقوا على توثيقه والثناء عليه » [٢] .

* * *

وعلى نمط تفسير مقاتل بن سليمان فى رواية غرائب الإسرائيليات وأباطيلها دون إسناد لها ولا تعقيب عليها :

تفسير الثعلبى [٣]

المسمى « الكشف والبيان عن تفسير القرآن »

وهذا التفسير لا يزال مخطوطاً إلى اليوم ، ومنه نسخة غير كاملة بمكتبة الأزهر الشريف فى أربع مجلدات كبار ، تبدأ بتفسير سورة الفاتحة وتنتهى

---

(١) تفسير مقاتل - المجلد الثانى ص ١٥٩ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى جـ ٢ ص ١١ . ط . المنيرية .

(٣) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ وقيل - كما فى وفيات الأعيان - سنة ٤٣٧ هـ . انظر ترجمته فى معجم الأدباء ، وفى وفيات الأعيان ، وفى شذرات الذهب .

بتفسير آخر سورة الفرقان ، وهو يجرى على طريقة التفسير بالمأثور دون ذكر الأسانيد ، اكتفاءً بذكر المؤلف فى مقدمة تفسيره أسانيده لمن يروى عنهم من علماء السَلَف والخَلَف ، وأسانيده إلى المصنفات التى يستمد منها فى تفسيره .

وقد ذكر الثعلبى فى مقدمة تفسيره : أن المصنفين فى التفسير فِرق على طرق مختلفة ، عَدَّ هذه الفِرق وذكر طرقها ومناهجها ، وانتهى إلى القول بأنه لم يعثر فى كتب مَن تقدمه على كتاب جامع مهذب ، يعتمد عليه .

ولكننا - وللأسف - نتصفح تفسير الثعلبى الذى عاب كل مَن تقدمه من المفسرين ، وأشار فى مقدمة تفسيره إلى أنه كتاب شامل مهذب ، فنجده شاملاً للخرافات والأباطيل ، مشحوناً بالأكاذيب والأضاليل ، دون أن يتعقب الثعلبى شيئاً منها ببيان ما فيها من كذب واختلاق ، ولو كان فيما يرويه ما لا يصدقه عقل ولا يقبله شرع .

وإذا كان أبرز الجوانب فى تفسير الثعلبى هو الجانب القصصى الإسرائيلى ، فذلك راجع - فيما أعتقد - إلى أن الثعلبى كان واعظاً ، وشأن الواعظ - فى الغالب - أن يكون مولعاً بالأخبار والقصص يلقيها على الناس حين يعظهم ، ويضمنها مؤلفاته حين يكتب لهم ، وكتابه الذى ألَّفه فى قصص الأنبياء وسماه « العرائس » أكبر دليل على مبلغ شغفه بالخرافات وولعه برواية الغرائب والأعاجيب !! ..

وإذا ساغ للثعلبى أن يُضَمِّن كتابه « العرائس » كثيراً من القصص الذى لا أصل له ، والذى لا يمكن أن نسلم بصحته لمنافاته لقواعد الدين وبداهة العقل . إذا ساغ له ذلك فى « العرائس » . فما كان يسوغ له ولا يليق به أن يتخذ من هذه الخرافات شرحاً لكتاب الله الذى يجب أن ننزهه عنها ونحميه منها .

على أنى لا أرى مسلك الثعلبى فى « العرائس » سائغاً ولا لائقاً أبداً ، لأنه - فى الأعم الأغلب - يعرض لبعض الآيات القرآنية ، فيشرحها على ضوء خرافاته وترهاته ، ولو كان كتاب « العرائس » كتاب قصص وأخبار لا صلة لها بالقرآن الكريم لربما هان الأمر وتجرعناه على كُرْهٍ ومضضٍ .

ويظهر لنا أن الثعلبى كان رجلاً قليل البضاعة فى الحديث وليس له بعلله معرفة ولا دراية ، وإلا ما كان ينسب إلى رسول اللّٰه ﷺ بعض ما يرويه من الإسرائيليات وما شاكلها من الموضوعات التى صرَّح العلماء بوضعها والتى لو عُرِضَت على قواعد القوم فى نقد الرواية لظهر زيفها وفسادها .

وفى تفسير الثعلبى مُثُلٌ كثيرة على إسرافه وتساهله فى رواية الإسرائيليات التى يحيلها العقل ويكذِّبها الشرع ، وإذا أردنا أن نسوق أمثلة من الجانب القصصى الإسرائيلى فى تفسير الثعلبى لوجدنا أنفسنا أمام قصص كثير ، وأخبار طوال يمل القارىء من قراءتها ، ويسأم السامع من سماعها ، ونرى أن نكتفى بذكر بعض الأمثلة ونشير إلى بعض آخر منها بذكر مواضعه فى الهامش ليرجع إليها مَن يريد .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٤٨) من سورة البقرة : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

نجده يقول : « وكانت قصة التابوت وصفته على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الأخبار : أن اللّٰه تعالى أنزل تابوتاً على آدم عليه السلام ، فيه صورة الأنبياء من أولاده ، فيه بيوت بعدد الأنبياء كلهم عليهم السلام ، وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوتة حمراء ، وإذا هو قائم يصلى عن يمينه الكهل المطيع ، مكتوب على جبينه : هذا أول مَن يتبعه من أمته : أبو بكر رضى اللّٰه عنه ، وعن يساره الفاروق ، مكتوب على جبينه : قرن من حديد ، لا تأخذه فى اللّٰه لومة لائم . ومن ورائه ذو النورين بحجرته ، مكتوب على جبينه : بار من البررة ، ومن بين يديه علىّ بن أبى طالب شاهر سيفه على عاتقه ، مكتوب على جبينه : هذا أخوه وابن عمه المؤيَّد بالنصر من عند اللّٰه » (١) .

---

(١) تفسير الثعلبى جـ ١ ص ٢١٥

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين (١٧ - ١٨) من سورة يوسف عليه السلام : ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُواْ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ . يقول ما نصه :

« فقالوا - يعنى إخوة يوسف - ألم تروا إلى أبينا كيف يُكَذِّبنا فى مقالتنا ، فتعالوا نصطد ذئباً ، قال : فاصطادوا ذئباً ولطَّخوه بالدم وأوثقوه بالحبال ، ثم جاءوا به يعقوب وقالوا : يا أبانا ، إن هذا الذئب يحل بأغنامنا ويفترسها ، ولعله الذى فجعنا بأخينا لا نشك فيه . وهذا دمه عليه . فقال يعقوب : أطلقوه، فأطلقوه ، فبصبص له الذئب ، وأقبل يدنو منه ، ويقول له يعقوب : ادن ادن ، حتى ألصق فخذه بفخذه ، فقال له يعقوب : أيها الذئب ، لمَ فجعتنى فى ولدى وأورثتنى بعده حزناً طويلاً ؟ ثم قال : اللّهم أنطقه ، فأنطقه فقال : والذى اصطفاك نبياً ما أكلتُ لحمه ، ولا مزّقتُ جلده ، ولا نتفتُ شعرة من شعره، ووالله ما لى بولدك عهد ، وإنما أنا ذئب غريب ، أقبلتُ من نواحى مصر فى طلب أخ لى فقدته ، فلا أدرى أحى هو أم ميت ، فاصطادنى ولدك وأوثقونى ، إن لحوم الأنبياء حُرِّمت علينا وعلى جميع الوحوش ، وبالله لا قمتُ فى بلاد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش ، فأطلقه يعقوب وقال لبنيه : والله لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم ، هذا ذئب بهيمة ، خرج يتبع زمام أخيه ، وأنتم ضيَّعتم أخاكم ، وعلمتُ أن الذئب برىء مما جئتم به ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ ا . هـ [١] .

وعندما عرض الثعلبى لتفسير قوله تعالى فى الآية (١٠) من سورة الكهف : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ نجده يروى عن السدى ووهب بن منبه وغيرهما رواية طويلة

---

(١) تفسير الثعلبى جـ ٤ ص ٢١

وغريبة ، فيها ذكر هؤلاء الفتية واسم كلبهم ، وفيها حوار غريب بين الكلب والفتية حين تبعهم الكلب فحاولوا رده ، وأعجب ما فيها : أن نبينا محمداً ﷺ طلب من ربه أن يريه أصحاب الكهف فأجابه بأنه لن يراهم فى دار الدنيا ، وأمره أن يرسل إليهم أربعة من خيار أصحابه ليُبَلِّغوهم رسالته !!

يروى الثعلبى هذه الرواية فيقول فيما يرويه عن السدى ووهب وغيرهما ما نصه :

« ... وأسماؤهم - يريد الفتية - مكسلميثا ، وهو كبيرهم ورئيسهم ، وأمليخا ، وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم ، ومكشيثا ، ومرطوش ، ونواش ، ولونواش ، وكيدسططنوس ، وكلبهم قِطمير . ولما دخلوا الكهف قالوا : يا حيوم ، يا قيوم ، أيوم طاسوم ... » ثم قال : « قال كعب : مروا بكلب فنبح فطردوه مراراً ، فقام الكلب على رجليه رافعاً يديه إلى السماء كهيئة الداعى ، فنطق فقال : لا تخافوا منى ، : أنا أحب أحباء اللّه ، فناموا حتى أحرسكم .. » ... ثم ذكر من قصتهم ما ذكر إلى أن قال :

« وقيل إن النبى ﷺ سأل اللّه أن يُريه إياهم ، فقال : إنك لن تراهم فى دار الدنيا ، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليُبَلِّغوهم رسالتك ، ويدعوهم إلى الإيمان ، فقال النبى ﷺ لجبريل : كيف أبعثهم ؟ فقال : ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر ، وعلى الآخر عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع علىّ بن أبى طالب ، ثم ادع الريح الرخاء المُسَخَّرة لسليمان ، فإن اللّه تعالى يأمرها أن تطيعك ، ففعل ، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجراً ، فحمل الكلب عليهم ، فلما رآهم حرَّك رأسه ، وبصبص بعينيه ، وأومأ برأسه أن ادخلوا ، فدخلوا الكهف فقالوا : السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ، فرد اللّه على الفتية أرواحهم ، فقاموا بأجمعهم ، وقالوا : وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته ، فقالوا : معشر الفتية ، إن النبى محمد بن عبد اللّه يقرأ عليكم السلام ، فقالوا : وعلى محمد رسول اللّه السلام ما دامت السموات والأرض ، وعليكم ما أبلغتم ، وقبلوا دينه وأسلموا ، ثم

قالوا : أقرئوا محمداً رسول اللّه منا السلام ، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم ... » [1] .

والعجب أن الثعلبى ينتهى من ذكر هذه القصة الغريبة والتى فيها كذب بَيِّنٌ على رسول اللّه ﷺ دون أن يتعقبها بكلمة تكذيب لها أو شك فيها ، ولست أرى إلا أنها رواية تحمل فى طياتها دليل كذبها ، فما النبى محمد عليه الصلاة والسلام بالشخص الذى يعبث فيسأل ربه أن يُريه أصحاب الكهف ، ولو وقع منه سؤال لربه - كما فى الرواية - فلِمَ يُحجَب هو عن رؤيتهم ويؤمر بإرسال أربعة من أصحابه إليهم فيرونهم رأى العين ؟

هل معنى هذا أن محمداً ﷺ هان على اللّه فحرمه من شىء تاقت نفسه إليه ولم يحرم منه بعض أصحابه ؟

ولِمَ كان الأربعة الذين أرسلهم خصوص أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وهم الخلفاء الأربعة ؟ أليس فى ذلك روائح الكذب وأمارات الاختلاق ؟

ثم أليس فى تسخير الريح لمحمد عليه الصلاة والسلام ما يتنافى مع ما جاء فى القرآن الكريم من قول نبى اللّه سليمان عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ، إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [2] .

وما ثبت من أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجن تَفَلَّتَ علىَّ البارحة ليقطع علىّ صلاتى فأمكننى اللّه منه ، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من

---

(١) تفسير الثعلبى المجلد الرابع ص ١٢١ - ١٢٥ - وانظر ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٩٤) من سورة الكهف : ﴿ .. إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ .. ﴾ ... الآية (١ جـ ٤ ص ١٤٠ - ١٤٣) ، وما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٧) من سورة مريم: ﴿ فأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ .. ﴾ ... الآية ، فسوف تجد أنه يروى من الغرائب ما لا يتصوره العقل ولا يقره الشرع .

(٢) سورة ص : ٣٥ - ٣٦

سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم . فذكرت دعوة أخى سليمان « رب هب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى » فرددته خاسئاً » [1] .

أليس فى كل ما ذكرت ما يكفى لرد هذه القصة العجيبة ، ويقوم شاهداً على أنها لا أساس لها من الصحة ؟

ثم أليس فى وضع الثعلبى لهذه القصة وأمثالها فى تفسيره ما يبرر حملات بعض العلماء عليه وعلى تفسيره ؟

أليس ابن تيمية على حق فى حكمه على الثعلبى وعلى تفسيره بقوله : « والثعلبى فى نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع » وقوله - وقد سئل عن بعض كتب التفسير : « .. وأما الواحدى فإنه تلميذ الثعلبى ، وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبى فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليداً لغيره ، وتفسيره وتفسير الواحدى ، البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، فيها فوائد جليلة ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها » [2] .

والكتانى فى الرسالة المستطرفة ص (١٩) لم يكن متجنياً على الثعلبى إذ يقول عند الكلام عن الواحدى المفسر : « ولم يكن له ولشيخه الثعلبى كبير بضاعة فى الحديث ، بل فى تفسيرهما - وخصوصاً الثعلبى - أحاديث موضوعة وقصص باطلة » .

وبعد .. فليت تفسير الثعلبى لا يُطبع ، وليت تفسير مقاتل لا يُطبع أيضاً ، لأنهما لو طُبِعَا على ما هما عليه بدون تنقيتهما مما فيهما من خرافات وأباطيل، أو بدون تنبيه إليها وتحذير منها ، لكان كل منهما منشور بدع وخرافات يُخشَى

---

(١) صحيح البخارى (نسخة على هامش فتح البارى) كتاب الأنبياء - باب : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ، نِعْمَ العَبْدُ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ جـ ٦ ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، وفى كتاب التفسير - باب قوله : ﴿ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ جـ ٨ ص ٣٧٦ - ٣٧٨

(٢) مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير ص ١٩

منه على عقول العامة وعقائدها ، ونحن فى حاجة إلى أن نُطَهِّر المكتبة الإسلامية من مثل هذه الكتب لا أن نزيد الطين بَلَّة ، ونضيف إلى العلل عِلَّة .

❋ ❋ ❋

٤ – ومن أشهر الكتب التى تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ، ولكنها أحياناً تشير إلى ضعفها ، وأحياناً تُصَرِّح بعدم صحتها ، وأحياناً تروى ما تروى دون أن تنقده ولا بكلمة واحدة رغم فساده ومخالفته للقواعد الشرعية :

تفسير الخازن [(١)]

المسمى « لُباب التأويل فى معانى التنزيل »

وهذا التفسير مختصر من تفسير البغوي [(٢)] كما نص على ذلك الخازن فى مقدمته . وتفسير البغوى مختصر من تفسير الثعلبى ، كما نص عليه ابن تيمية [(٣)] ، ومن هنا نعرف سر إكثار الخازن من الإسرائيليات فى تفسيره [(٤)].

والخازن كان خازن كتب السميساطية بدمشق ، ومَن يقوم على خزانة الكتب وله ولع بالتفسير لا بد أن يقرأ كثيراً فيما تحت يديه من كتب التفسير ، ولا بد أن يعجب ببعض منها . ويتأثر به فيما يحاول من كتابة التفسير ، ولقد رأينا

---

(١) هو علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحى – نسبة إلى شيحة من أعمال حلب – البغدادى الشافعى ، المعروف بالخازن ، اشتهر بذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق . وُلِدَ فى بغداد سنة ٦٧٨ هـ وتوفى فى حلب سنة ٧٤١ هـ – انظر ترجمته فى الدرر الكامنة ، وفى طَبقات المفسرين للداودى ، وفى شذرات الذهب .

(٢) البغوى : هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء – نسبة إلى عمل الفراء وبيعها – والبغوى : نسبة إلى بلد بخراسان بين مرو وهراة يقال لها « بغ » ، « وبغشور » ، وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل – قاله السمعانى فى كتاب « الأنساب » – انظر ترجمته فى طبقات المفسرين للسيوطى ، وطبقات الشافعية لابن السبكى ، ووفيات الأعيان .

(٣) مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير ص ١٩

(٤) ومما يدل على أن الخازن يعطى القصص الإسرائيلى أهمية وتقديراً أنه فى مقدمة تفسيره عَدَّ من ميزات تفسير البغوى : أنه مُوشًّى بالقصص الغريبة ، وأخبار الماضين العجيبة .

الخازن قد تأثر إلى حد كبير بالتفاسير التى لها عناية بالجانب القصصى الإسرائيلى فأكثر عنها النقل فى تفسيره ، وكان أكثر ما تأثر به ونقل عنه تفسير الثعلبى الذى كثيراً ما يعزو إليه مباشرة بعض ما يرويه فى تفسيره من الإسرائيليات ، كأنما رأى الخازن أن البغوى - وهو أصل كتابه - أهمل بعض القصص وأعرض عن بعض الموضوعات فى الحديث [1] فهو لهذا ينقل عن الثعلبى بعض ما أهمله البغوى .

والخازن فوق هذا كله كان متصوفاً واعظاً ، والواعظ - كما قلنا عن الثعلبى- يغلب عليه الجانب القصصى فيما يُحَدِّث به الناس وفيما يكتب لهم .

ومن أجل كل ذلك جاء تفسير الخازن مليئاً بالإسرائيليات مشحوناً بالخرافات.

والخازن حين يذكر فى تفسيره ما يذكر من الإسرائيليات لا يلتزم منهجاً واحداً فى روايتها ، فحين يروى قصة فيها غرابة ولكنها لا تمس جانب العقيدة لا نجده يُعَقِّب عليها بكلمة واحدة تفيد نكارتها ..

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٠) من سورة الكهف : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ .. ﴾ ... الآية ، نراه يذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه عن محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار ، وهى غاية فى الطول والغرابة ومع ذلك فهو ينتهى منها ولا يُعَقِّب عليها ولا بكلمة واحدة [2] .

وحين يروى الخازن قصة فيها ما يمس جانب العقيدة ، ولا يتفق مع الأصول الشرعية المقررة ، نجده أحياناً ينقد ما رواه نقداً سليماً يكشف به عن فساده ونكارته ، وأحياناً يمر على ما يرويه من ذلك رغم نكارته وفساده دون أن يقول يه كلمة الحق التى وجبت عليه .

---

(١) ذكر ابن تيمية فى ص ١٩ من مقدمته فى أصول التفسير أن البغوى اختصر تفسيره من تفسير الثعلبى لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة - وأقول : لكنه لم يصنه عن الإسرائيليات وإن كان مقلاً عن الثعلبى إلى حد كبير .

(٢) راجع القصة بتمامها فى الجزء الرابع ص ١٦٠ - ١٦٥ ، ط . التقدم .

فمن أمثلة ما يرويه مما يمس جانب العقيدة ولكنه يُعَقِّب عليه ببيان فساده وعدم صحته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات من (٢١ - ٢٤) من سورة ص : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ المِحْرَابَ ... ﴾ .. إلى قوله : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ حيث ساق قصصاً أشبه ما تكون بالخرافة وفيها ما يقدح فى عصمة داوود عليه السلام ، كقصة الشيطان الذى تمثَّل لداوود عليه السلام فى صورة حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، وجناحاها من الدر والزبرجد فطارت ثم وقعت بين رجليه ، وألهته عن صلاته ، وقصة امرأة أوريا التى وقع بصر داوود عليها فأعجبه جمالها فاحتال على زوجها حتى قُتِلَ رجاء أن تسلم له هذه المرأة التى فُتِنَ بها وشُغِفَ بحبها ، وغير ذلك من الروايات العجيبة الغريبة .

ولكنه يأتى بعد كل هذا الذى ذكره فيقول : « فصل فى تنزيه داوود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به ويُنسب إليه » ويُفَنِّد فى هذا الفصل كل ما ذكره مما يتنافى مع عصمة نبى اللّٰه داوود عليه السلام [1] .

ومن أمثلة ما يرويه الخازن فى تفسيره مما يمس جانب العقيدة ولا يتفق مع الأصول الشرعية المقررة ولا يُعَقِّب عليه بما يفيد بطلانه ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين (٨٣ - ٨٤) من سورة الأنبياء : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ فقد روى عن وهب بن منبه قصة فيها نكارة ومنافاة للأصول الشرعية فقال :

« قال وهب بن منبه : كان أيوب رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وكانت أُمه من ولد لوط بن هاران ، وكان اللّٰه تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا ، وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها : سهلها وجبلها ، وكان

---

(١) تفسير الخازن جـ ٦ ص ٣٨ - ٤٢

له فيها من أصناف المال كله : من الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيل ، والحمير ، ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدد والكثرة ، وكان له خمسمائة فدان ، يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل له آلة كل فدان أتان، لكل أتان من الولد اثنان ، أو ثلاث أو أربع أو خمس ، وفوق ذلك ، وكان اللّه تعالى قد أعطاه أهلا وولداً من رجال ونساء ، وكان بَرّاً تقياً ، رحيماً بالمساكين ، يطعمهم ويكفل الأيتام والأرامل ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكراً لأنعم اللّه ، مؤدياً لحق اللّه ، قد امتنع من عدو اللّه إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى ، من الغرة ، والغفلة ، والتشاغل عن أمر اللّه بما هو فيه من أمر الدنيا ..

وكان إبليس لا يُحْجَب عن شىء من السموات ، وكان يقف فيهن حيثما أراد ، حتى رفع اللّه عيسى فحُجِبَ عن أربع ، فلما بُعِثَ محمد ﷺ حُجِبَ عن السموات كلها إلا مَن استرق السمع ، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره اللّه وأثنى عليه ، فأدرك إبليس الحسد والبغض ، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء حيث كان يقف ، وقال : إلٰهى ، نظرتُ فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمتَ عليه فشكرك ، وعافيته فحمدك ، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ، ولخرج عن طاعتك ، قال اللّه تعالى : « انْطَلِقْ ، فقد سَلَّطْتُكَ على ماله » فانقض عدو اللّه حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم : ماذا عندكم من القوّة ؟ فقد سُلِطْتُ على مال أيوب وهو المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال » .

ثم ذكر أقوالاً غريبة فى إفناء مال أيوب عقَّبها بقوله : « فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينج منه بشىء ، صعد سريعاً حتى وقف الموقف الذى يقف فيه ، وسأل اللّه أن يُسَلِّطه على ولده ، فقال اللّه له : « انْطَلِق فقد سَلَّطْتُكَ على ولده » وذكر ما كان من بلاء وعذاب وهلاك وقع بولده ، وأن إبليس جاء إلى أيوب بعد ذلك وقال له : « لو رأيتَ بَنِيكَ كيف عُذِّبوا ، وكيف انقلبوا منكوسين

على رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ، ولو رأيتَ كيف شُققَتْ بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتَقَطَّع قلبك عليهم ، فبكى أيوب وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال : ليت أُمى لم تلدنى ، ثم لم يلبث أن تاب إلى ربه ، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً ، وسأل اللّه أن يُسَلِّطه على جسد أيوب ، فقال له عز وجل : « انْطَلِقْ فقد سَلَّطْتُكَ على جسده ، ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله » .

فانقضَّ عدو اللّه إبليس سريعاً ، فوجد أيوب ساجداً ، فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قِبَلِ وجهه فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده ، فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ، ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى قرَّح لحمه وتقطَّع وتغيَّر وأنتن ، فأخرجه أهل القرية حتى جعلوه على كناسة لهم ، وجعلوا له عريشة ، ورفضه خلق اللّه كلهم غير امرأته » ...

ثم ذكر كلاماً طويلاً فى حوار أيوب مع بعض خلصائه ، وفى تضرعه إلى اللّه أن يكشف عنه ما به من بلاءٍ وضُرٍّ ، وما كان من كلام اللّه له وكشفه الضُرَّ عنه، ثم نقل عن الحسن - أظنه البصرى - : « أن أيوب مكث مطروحاً على كناسة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهر ، يختلف فيه الدود ، ولا يقربه أحد غير «رحمة» - اسم زوجته - ثم إن صبر أيوب على بلائه أعيا إبليس ، فاستشار أعوانه ، فأشاروا عليه أن يأتيه من قِبَلِ زوجته ، فانطلق إبليس حتى أتى « رحمة » امرأة أيوب فتمثَّل لها فى صورة رجل وقال لها : أين بعلك يا أمة اللّه ؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه وتتردد الديدان فى جسده ، فأخذ يوسوس لها ويُذكِّرها جمال أيوب وشبابه ، وما هو فيه من الضُرِّ ، وأن ذلك لا ينقطع عنه أبداً ، فصرخت ، فعلم أنها قد جزعت ، فأتاها بسخلة وقال : ليذبح لى هذه أيوب ويبرأ ، فجاءت تصرخ : يا أيوب ، حتى متى يعذبك ربك ؟ أين المال ؟ أين الولد ؟ أين الصديق ؟ أين لونك الحسن ؟ أين جسمك الحسن ؟

اذبح هذه السخلة واسترح ، فقال لها أيوب : أتاك عدو اللّه فنفخ فيك ، ويلك ... واللّه لئن شفانى اللّه لأجلدنك مائة جلدة ، أمرتينى أن أذبح لغير اللّه .. » وطردها ... إلى آخر القصة (١) .

والعجب أن الخازن ينتهى من هذه القصة ثم لا يُعَقِّب عليها بأية كلمة تُشعر بتكذيبها أو الشك فيها ، مع أنها - بلا شك - رواية موضوعة مكذوبة ، دُسَّت على تفسير كتاب اللّه تعالى ، وكتاب اللّه لا يحتاج فى تفسيره إليها ، ويمكن دفعها عقلاً ونقلاً .. فالعقل لا يقبل بحال من الأحوال أن يكون أى داعية إلى مبدأ أو عقيدة فيه كل هذه المنفرات التى تصد الناس عنه ، وتباعد بينهم وبينه ، والنقل صريح فى أن القادة - فضلاً عن الرسل - لا بد أن تكون لهم من الصفات البدنية - بجوار ما لهم من الصفات الخُلُقية - ما يلقى عليهم المهابة .

وإلا فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ، قَالُواْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وبعد ... فاعرف عن تفسير الخازن ، أنه سهل العبارة ، واضح المعنى ، ولكن شهرته القصصية ، وسمعته الإسرائيلية أساءت إليه كثيراً ، وصدَّت كثيراً من الناس عن الرجوع إليه والتعويل عليه ، ولعل اللّه يهيىء لهذا الكتاب مَن يخرجه فى ثوب جديد ، ويُعَلِّق عليه تعليقات تميز غَثَّه من ثمينه ، وتستخلص صحيحه من سقيمه ، إذن لأخرج لنا - بعمله هذا - من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

* * *

---

(١) تفسير الخازن جـ ٤ ص . ٢٥ - ٢٥٤

(٢) البقرة : ٢٤٧

٥ - ومن أشهر كتب التفسير التى تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ، وهى حين تذكرها لا تقصد إلا بيان ما فيها من زيف وباطل ، ونادر جداً أن تذكر شيئاً من ذلك ولا تُعَقِّب عليه :

تفسير الآلوسى (١)

المسمى « روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى »

وهذا التفسير من أشد الكتب نقداً للإسرائيليات ، وعيباً على مَن توّسعوا فى أخذها وحشوا بها تفاسيرهم .

وكأنى بالآلوسى وهو يكتب تفسيره الذى استمده من أكثر تفاسير مَن تقدَّمه من العلماء هاله كثرة ما فى معظمها من إسرائيليات وأخبار لا أصل لها ، فنقلها عن هذه الكتب ، لا عن تصديق لها ، ولا عن شغف بها ، وإنما نقلها لِيُنَبِّه على خطئها ، ويُحَذِّر من تصديقها ، حتى لا يُخدع بها مَن يرون صحة كل ما فى هذه التفاسير ، لأنها من عمل علماء أجلاَّء ، وسادة فضلاء .

والعلاَّمة الآلوسى - رحمه الله - حين ينقد الإسرائيليات ، تارة ينقدها بنفسه مع سخرية منه أحياناً بهذه المرويات ورواتها بإشارات لطيفة ، وتلميحات طريفة لا تخرج به عن دائرة الأدب الذى يجب أن يتحلّى به العلماء .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٤٨) من سورة البقرة : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِه أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلاَئِكَةُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

نراه يذكر ما قاله أهل الأخبار فى شأن هذا التابوت ، من أنه صندوق أنزله الله على آدم عليه السلام ، فيه تماثيل الأنبياء جميعهم ، وأنه كان من عود

---

(١) هو أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسى البغدادى - وُلِدَ فى بغداد سنة ١٢١٧ هـ وتوفى بها سنة ١٢٧٠ هـ - انظر ترجمته فى الجزء الأول من تفسيره ، ط . الأميرية ، وانظر التفسير والمفسرون .

الشمشاذ ، وكان نحواً من ثلاثة أذرع فى ذراعين ، وأنه لم يزل ينتقل من كريم إلى كريم حتى وصل إلى يعقوب ، ثم إلى بنيه من بعده ، وأنه كان يتحاكم الناس إليه بعد موسى عليه السلام إذا اختلفوا ، فيحكم بينهم ، ويتكلم معهم ، إلى أن فسدوا ، فأخذه العمالقة ... ثم يُعَقِّب الآلوسى على هذا بقوله - فى تهكم وسخرية : « ولم أر حديثاً صحيحاً مرفوعاً يُعَوِّل عليه يفتح قفل هذا الصندوق ، ولا فكراً كذلك »[(١)] .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣٨) من سورة هود عليه السلام : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِروا مِنْهُ ﴾ .. الآية ، نراه يروى عن الكلبى وغيره : أن السفينة كانت من خَشَب الساج ، وأن نوحاً غرس شجره بنفسه وأبقاه عشرين سنة أو أربعين حتى صار طوله أربعمائة ذراع .

ويروى عن ابن جرير وغيره : أن طول السفينة كان ألف ذراع ومائتى ذراع ، وأن عرضها كان ستمائة ذراع ، ويذكر ما رُوىَ من أن نوحا أتمها فى ثلاث سنين ، أو فى أربعين سنة ، أو فى ستين ، أو فى مائة سنة ، أو فى أربعمائة ، وأنه صنعها فى الكوفة ، أو فى الهند ، أو فى الشام ...

ثم يُعَلِّق الآلوسى على هذا كله بقوله : « وسفينة الأخبار فى تحقيق الحال - فيما أرى - لا تصلح للركوب فيها ، إذ هى غير سالمة من عيب ، فالحرى بحال مَن لا يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام صنع الفُلْك حسبما قَصَّ اللّه تعالى فى كتابه ، ولا يخوض فى مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، ومن أى خشب صنعها ، وبكم مدة أتم عملها ، إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ، ولم تُبيِّنه السُنَّة الصحيحة »[(٢)] .

وتارة أخرى نجد الآلوسى - رحمه اللّه - ينقل فى تفسيره ما روى غيره من الإسرائيليات ، ثم ينقل ما قاله غيره من المفسرين فى نقدها كابن كثير وأبى حيان رحمهما اللّه تعالى .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٢) من سورة المائدة : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ ... الآية ،

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ ط . المنيرية .

(٢) تفسير الآلوسى جـ ١٢ ص ٤٥

نراه ينقل عن البغوى صاحب التفسير المعروف ، قصة غريبة عن عوج ابن عنق ، وأن طوله كان ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلثاً ، وأنه كان يحتجز بالسحاب ، ويشرب منه ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ، وأن ماء الطوفان طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتى عوج ، وأنه عاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى ...

ثم يذكر كيفية هلاكه فيقول : إنه جاء وقَوَّر صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام - وكان فرسخاً فى فرسخ - وحملها ليُطبقها عليهم ، فبعث الله تعالى الهدهد فقوَّر الصخرة بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته ، فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله ...

ثم يذكر أن أم عوج - وهى « عنق » إحدى بنات آدم - وكان مجلسها جريباً من الأرض ، وأن عوج ابن عنق لقى بنى إسرائيل الذين أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة - وكان على رأسه حزمة من حطب - فأخذهم جميعاً وجعلهم فى حزمته ، وانطلق بهم إلى امرأته وقال لها : انظرى إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا ، وطرحهم بين يديها ، وقال : ألا أطحنهم برجلى ؟ فقالت له امرأته : بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل !!

ولكن الآلوسى - رحمه الله - لا يقبل هذه الخرافة ، ولا يرضى أن يسكت عنها ، فنراه يقول بعد ما فرغ من نقلها عن تفسير البغوى ما نصه :

« وأقول : شاع أمر عوج عند العامة ، ونقلوا فيه حكايات شنيعة . وفى فتاوى العلامة ابن حجر : قال الحافظ العماد بن كثير : قصة عوج وجميع ما يحكون عنه ، هذيان لا أصل له ، وهو من مختلقات أهل الكتاب ، ولم يكن قط على عهد نوح عليه السلام ، ولم يسلم من الكفار أحد . وقال ابن القيم : من الأمور التى يُعرف بها كون الحديث موضوعاً : أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه ، كحديث عوج ابن عنق ، وليس العجب من جراءة مَن وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى ، إنما العجب ممن يُدخل هذا الحديث فى كتب العلم من التفسير وغيره ولا يُبيِّن أمره ، ثم قال : ولا ريب أن هذا وأمثاله

من صنع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ... ثم يمضى الآلوسى فى تفنيده قصة عوج بما حكاه عن غير مَن تقدَّم من العلماء الذين استنكروا هذه القصة وعدوها خرافة لا أصل لها ولا حقيقة [١] .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٨) من سورة النمل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ .. ﴾ ... الآية ، نراه يذكر ما قاله القصَّاص فى شأن هذه النملة : من ضخامة حجمها ، وأنها كانت عرجاء ، وأن اسمها « طاخية » وقيل « جرمى » ، ثم يُعَقِّب على هذا كله بما عقَّب به أبو حيان فى تفسيره « البحر المحيط » ، فيقول : « وفى البحر : اختُلفَ فى اسمها العَلَم ما لفظه ؟ وليت شعرى مَن الذى وضع لها لفظاً يخصها ؟ أبَنو آدم أم النمل » ؟ !! [٢] .

وإذا كان الآلوسى يُشَدِّد النكير على مَن أدخل مثل قصة عوج ابن عنق فى تفسيره ، فإنه ينكر كل الإنكار على مَن يروى من أباطيل الإسرائيليات ما يخل بمقام النبوّة أو يُذهب بعصمة الأنبياء عليهم السلام .

فمثلاً عندما فسَّر قوله تعالى فى الآيات من (٢١ - ٢٤) من سورة ص : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... ﴾ .. إلى قوله : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ نراه يذكر ما قيل فى تفسير هذه الآيات ، ومنها قصة أوريا ، ثم يُعَقِّب على ذلك بقوله : « والمقبول من هذه الأقوال ما بَعُدَ عن الإخلال بمنصب النبوَّة ، وللقصَّاص كلام مشهور لا يكاد يصح ، لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه عليه السلام ، ولذا قال علىّ كرَّم الله تعالى وجهه - على ما فى بعض الكتب - : مَن حدَّث بحديث داوود عليه السلام على ما يرويه القصَّاص جلدته مائة وستين جلدة ، وذلك حد الفرية على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين » .. ثم ذكر ما ذهب إليه أبو حيان فى تفسيره فقال : « وقال أبو حيان : الذى أذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية ، من

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ٦ ص ٨٦ - ٨٧ (٢) تفسير الآلوسى جـ ١٩ ص ١٥٩

أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفى غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً فى محرابه لعبادة ربه عز وجل ، فلما اتضح له أنهم جاءوه فى حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ اللّه تعالى ، وأن داوود عليه السلام ظن دخولهم عليه فى ذلك الوقت ومن تلك الجهة - ابتلاءً من اللّه تعالى له - أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه ، فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يكن ليقع مظنونه ، وخَرَّ ساجداً ، ورجع إلى اللّه تعالى ، وأنه تعالى غفر له ذلك الظن ، فإنه عز وجل قال : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ﴾ ولم يتقدم سوى قوله : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ ونعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم فى شىء منها ، ضرورة أنَّا لو جوَّزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ، ولم يوثق بشىء مما يذكرون أنه وحى من اللّه تعالى ، فما حكى اللّه تعالى فى كتابه يمر على ما أراده اللّه تعالى ، وما حكى القصَّاص مما فيه نقص لمنصب الرسالة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر :

ونؤثر حكم العقل فى كل شبهة إذا آثر الأخبار جُلاس قصاص » اهـ[1]

ومثلاً عند تفسير قوله تعالى فى سورة ص : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ... إلى آخر القصة فى الآيات (٤١) وما بعدها ، نجده يذكر ما رُوِىَ من أنَّ أيوب مرض مرضاً مُنَفِّراً ، فكان الدود يختلف فى جسده ، ولحمه يتساقط حتى ملَّه العالَم ونفروا منه ، وأنه أُلقِىَ على كناسة لبنى إسرائيل ، وأنه بقى على هذه الحال ثمانى عشرة سنة ... ثم يُعَقِّب على هذا كله بأقوال نقلها عن بعض العلماء ، ثم يقول بعد أن يفرغ منها : « ولعلك تختار القول بحفظهم - يعنى الأنبياء عليهم السلام - مما تعافه النفوس ويؤدى إلى الاستقذار والنَّفْرة ، كما يشعر به ما نُقِلَ عن قتادة ونقله القصَّاص فى كتبهم »[2] .

(١) تفسير الآلوسى جـ ٢٣ ص ١٦٧.

(٢) تفسير الآلوسى جـ ٢٣ ص ١٨٨ . وانظر ما قاله فى تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣٧) من سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ .... الآية : جـ ٢٢ ص ٢٣ - ٢٤

وإذا كان الآلوسى - رحمه الله - يُشَدِّد النكير على مَن شُغفوا بالإسرائيليات من المفسرين ، ويبطل منها ما لا يقوم الدليل على صحته فإنَّا نراه - أحياناً- لا يُسَلِّم بصحة بعض القصص الإسرائيلى على ظاهره ويجعله من باب الرمز والإشارة ، وليت شِعرى إذا كانت القصة عنده وفى واقع الأمر غير صحيحة فما الداعى لهذا التعسف والتكلف وقد أراحنا الله من النظر فيها ببطلانها وفسادها ؟

فمثلاً عندما فسر قوله تعالى فى الآية (١٠٢) من سورة البقرة : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ... ﴾ .. الآية ، نجده يذكر ما رُوِىَ من أن الملائكة تعجبت من بنى آدم من مخالفتهم ما أمر الله تعالى به ، وقالوا له تعالى : لو كنا مكانهم ما عصيناك ، فقال : اختاروا مَلَكين منكم ، فاختاروهما، فهبطا إلى الأرض ، ومَثُلا بشرين ، وألقى الله تعالى عليهما الشبق ، وحكما بين الناس ، وافتتنا بامرأة يقال لها « زهرة » ، فطلباها ، وامتنعت إلا أن يعبدا صنماً ، أو يشربا خمراً ، أو يقتلا نفساً ، ففعلا ، ثم تعلمت منهما ما صعدت به إلى السماء ، فصعدت ومُسِخَت هذا النجم ، وأرادا العروج فلم يمكنهما ، فخُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا فهما الآن يُعَذَّبان فيها .

ينكر الآلوسى هذه القصة ، ويذكر مَن أنكرها من العلماء ، ثم يقول : « ولعل ذلك من باب الرموز والإشارات ، فيراد من المَلَكين : العقل النظرى ، والعقل العملى اللّذان هما من عالَم القدس . ومن المرأة المسماة بالزهرة : النفس الناطقة ، ومن تعرضهما لها : تعليمهما لها ما يسعدها ، ومن حملها إياهما على المعاصى : تحريضها إياهما بحكم الطبيعة المزاجية إلى الميل إلى السفليات المدنسة لجوهريهما ، ومن صعودها إلى السماء بما تعلمت منهما : عروجها إلى الملأ الأعلى ومخالطتها مع القديسين بسبب انتصاحها لنصحهما ، ومن بقائهما معذَّبين : بقاؤهما مشغولين بتدبير الجسد وحرمانهما من العروج إلى سماء

الحضرة ، لأن طائر العقل لا يحوم حول حماها » ... ويمضى الآلوسى فينقل عن بعض الأكابر حلاً آخر لهذا الرمز ، ثم يقول :

« هذا ، ومَن قال بصحة هذه القصة فى نفس الأمر وحملها على ظاهرها فقد ركب شططاً ، وقال غلطاً ، وفتح باباً من السحر يُضحك الموتى ويُبكى الأحياء ، وينكس راية الإسلام ، ويرفع رؤوس الكفرة الطغام ، كما لا يخفى ذلك على المنصفين من العلماء المحققين »(١) .

أقول : ولعله أدخل فى باب الشطط وقول الغلط ، أن تكون القصة لا أصل لها ، ثم نتكلف تخريجها على ضرب من الرمز والإشارة !!

وإذا كان الذى حمل الآلوسى - رحمه الله - على أن يذهب هذا المذهب ، هو ما ذكره عن الإمام السيوطى من أن القصة رواها الإمام أحمد ، وابن حبان ، والبيهقى ، وغيرهم ، مرفوعة إلى رسول الله ﷺ ، وموقوفة على : علىّ ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود - رضى الله عنهم - بأسانيد عديدة صحيحة يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها لكثرتها وقوة مُخرجيها .

إذا كان هذا هو الذى حمله على مذهبه الرمزى فى فهم القصة ، فلا أرى ذلك حاملاً له على أن يركب متن الشطط والتعسف ، فكما صحح السيوطى القصة أو رجَّح صحتها ، كذَّبها غير السيوطى تكذيباً قاطعاً كالقاضى عياض ، وأبى حيّان ، والفخر الرازى ، ونص الشهاب العراقى على أن مَن اعتقد فى هاروت وماروت أنهما مَلَكان يُعَذَّبان على خطيئتهما مع الزهرة ، فهو كافر بالله تعالى ، لأن الملائكة معصومون ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٣) والزهرة كانت يوم خلق اللّه تعالى السموات والأرض ، والقول بأنها تمثلت لهما فكان ما كان ورُدَت إلى مكانها ، غير معقول ولا مقبول(٤) ... إذا كان هؤلاء العلماء قد وقفوا من هذه القصة موقف

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ٦ ص ٣٤١ - ٣٤٢ (٢) التحريم : ٦

(٣) الأنبياء : ١٩ - ٢٠ . (٤) انظر تفسير الآلوسى جـ ٢ ص ٣٤١

المبطل لها والقرآن والعقل فى جانبهم ، فما الذى يحمل الآلوسى على أن يفترض صحتها ويجعلها من قبيل الرمز والإشارة !! ؟

ومن هذا القبيل أيضاً أنه لما عرض لتفسير قوله تعالى فى الآية (٦٠) من سورة البقرة : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ... ﴾ ... الآية نجده يقول عن عصا موسى : « والمشهور أنها من آس الجنة ، طولها عشرة أزرع طول موسى عليه السلام ، لها شُعبتان تتقدان فى الظلمة . ثم يمضى فى تفسيره للآية ويشرحها على حسب ظاهرها ثم ينتقل إلى تفسيرها تفسيراً إشارياً فيقول :

« وحظ العارف من الآية : أن يعرف أن الروح الإنسانية وصفاتها بمثابة موسى وقومه ، وهو مستسقى ربه لإروائها بماء الحكمة والمعرفة ، وهو مأمور بضرب عصا « لا إله إلاّ اللّه » ولها شعبتان من النفى والإثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس ... »[1] .

ويظهر أن الآلوسى - رحمه اللّه - قد ارتضى أن عصا موسى كان لها شعبتان تتقدان فى الظلمة ، وعلى أساس هذا الوصف المروى فى الإسرائيليات أورد المعنى الإشارى الذى نقلناه عنه آنفاً !!

وما كان للآلوسى - رحمه اللّه - وهو القائل فى تفسيره : « ويا ليت كتب الإسلام لم تشتمل على هذه الخرافات التى لا يصدقها العاقل ولو كانت أضغاث أحلام » !! . ما كان له أن يرتضى ما قاله فى وصف عصا موسى زاعماً أنه المشهور ، وما كان له أن ينزل أوصافها المذكورة - وكلها أوهام وخيالات - على معان إشارية ، فالمعانى الإشارية إنما تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين ، وهى إدراكات أو إلهامات يجدها العارف فى طيات نص قرآنى أو حديث نبوى يرمى إلى معان دقيقة ، لا فى خرافة تجردت عن الحقيقة وانطوت على بهتان .

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ١ ص ٢٧٣

ولقد رأينا الآلوسى - وهو النفور من الإسرائيليات ، والمنكر على مَن يرويها فى تفسيره - ينزلق أحياناً إلى روايتها دون أن يُعَقِّب عليها ، أو يُحَذِّر منها .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٨٠) من سورة يوسف : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً ﴾ نراه يقول ما نصه :

« وفى بعض الآثار أنهم لما رأوا خروج الصواع من رحله وكانوا قد أفتوا بما أفتوا - يعنى قولهم : جزاؤه مَن وُجِدَ فى رحله فهو جزاؤه - تذكروا عهدهم مع أبيهم ، فاستشاط من بينهم روبيل غضباً ، وكان لا يقوم لغضبه شىء ، ووقف شعره حتى خرج من ثيابه ، فقال : أيها الملك ، لتتركن أخانا أو لأصيحن صيحة لا يبقين بها بمصر حامل إلا وضعت ، فقال يوسف عليه السلام لولد له صغير : قم إلى هذا فَمسُّه أو خُذ بيده - وكان إذا مَسَّه أحد من ولد يعقوب عليه السلام يسكن غضبه - فلما فعل الولد سكن غضبه ، فقال لإخوته : مَن مَسَّنى منكم ؟ فقالوا : ما مَسَّك أحد منا ، فقال : لقد مسَّنى ولد من آل يعقوب عليه السلام ، ثم قال لإخرته : كم عدد الأسواق بمصر ؟ قالوا : عشرة ، قال : اكفونى أنتم الأسواق ، وأنا أكفيكم الملك ، أو اكفونى أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق ، فلما أحس يوسف عليه السلام بذلك قام إليه وأخذ بتلابيبه وصرعه ، وقال : أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم قوة ، فعند ذلك خضعوا »[1] .

ويظهر أن الآلوسى قد رَضِىَ هذه القصة ، وذلك لأنه قال بعد فراغه من روايتها : « ويمكن على هذا أن يكون حصول اليأس الكامل لهم من مجموع الأمرين » يقصد ما رأوه من قوة يوسف عليه السلام التى تحول دون أخذهم أخاهم منه بالقوة ، وما ذكره قبل روايته لهذه القصة من أن حصول هذه المرتبة من اليأس كان لما شاهدوه من عوذه بالله أن يأخذ إلا مَن وجد الصواع عنده . والقصة ظاهر نكارتها ، فكيف يُصَدِّقها الآلوسى - رحمه الله - ويجعل بعض ما جاء فيها عاملاً من عوامل يأس إخوة يوسف من استرداد أخيهم !! ..

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ١٣ ص ٣١

ومثلاً عند تفسير الآلوسى لقوله تعالى فى الآية (٢٢) من سورة النمل : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ نجده يقول ما نصه :

« وفى بعض الآثار أنه عليه السلام لما لم يره - يعنى الهدهد - دعا عَرِّيف الطير وهو النسر ، فسأله فلم يجد عنده علمه ، ثم قال لسيد الطير - وهو العُقاب - علىّ به ، فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل ، فقصدته ، فناشدها الله تعالى ، وقال : بحق الله الذى قوّاكِ وأقدركِ علىّ إلا رحمتنى ، فتركته ، وقالت : ثكلتك أمك ، إن نبى الله تعالى قد حلف ليعذبنك أو ليَذبحنك ، قال : وما استثنى ؟ قالت : بلى ، قال : أو ليأتينى بسلطان مبين ، فقال : نجوتُ إذن . فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له ، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه ، فقال : يا نبى الله ، اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل ، فارتعد سليمان وعفا عنه . وعن عكرمة : أنه عفا عنه لأنه كان باراً بأبويه ، يأتيهما بالطعام فيزقهما لكبرهما » اَ . هـ [١] .

والقصة - كما ترى - ظاهر عليها أمارات الوضع : فمَن الذى نقل لنا حوار الطير وترجم لنا منطقه ؟ ومَن الذى عرَّف قتادة أن الهدهد كان باراً بأبويه ومن أجل ذلك عفا عنه سليمان ؟ ... القصة موضوعة ولا شك .. ولكن الآلوسى - على غير عادته - يرويها ثم لا يُعَقِّب عليها بما يفيد بطلانها ، ولقد كنا نود أن لو وقف الآلوسى موقف المتشدد دائماً من رواية الإسرائيليات ، فلا يروى رواية ويسكت عنها كما فعل فى هذه القصة والتى قبلها ، بل كنا نود - بالنسبة للروايات التى ذكرها لينقدها - أن يكتفى بمجرد الإشارة إليها لا أن يذكرها بتفاصيلها وحذافيرها وبكل ما يُعرف من رواياتها[٢] .. كنا نود منه ذلك ،

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ٩ ص ١٦٨

(٢) وإذا كنت فى هذا البحث قد جريت على أن أذكر بعض القصص بتمامها على ما فيها من طول ممل فعذرى فى ذلك أنى لست فى موقف المفسر لكتاب الله حتى أكف عنها أو أكتفى بالإشارة إليها ، وإنما أنا ناقد للإسرائيليات ، ومبين لأثرها وخطرها ، ولا يتم النقد ويتضح بُعْد الأثر وعِظَم الخطر إلا بروايتها بكل عجرها ، وبجرها ، حتى نعرف كل ما حوت من خرافات وترهات ، وما أكثرها وأشنعها .

ولكننا دهشنا حينما وجدناه يعتذر عن روايته لمثل ذلك ، تارة بأنه يريد إشباع رغبات بعض الناس وميولهم لسماعها ، وتارة بأنه يرويها تأسياً بمن سبقه من المفسرين !!

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٨٢) من سورة النمل : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ . نراه يذكر من أخبار الدابة وأوصافها ما شاء الله أن يذكر ، ثم يقول ما نصه :

« والأخبار فى هذه الدابة كثيرة ، وفى « البحر » : أنهم اختلفوا فى ماهيتها ، وشكلها ، ومحل خروجها ، وعدد خروجها ، ومقدار ما يخرج منها ، وما تفعل بالناس ، وما الذى تخرج به ، اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضه بعضاً فأطرحنا ذكره ، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح ، وتضييع لزمان نقله » . ثم يُعقِّب الآلوسى على كلام صاحب « البحر » بقوله : « وهو كلام حق ، وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعاً لشهوة من يحب الاطلاع على شىء من أخبارها صدقاً كان أو كذباً »[١] .

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٢) من سورة لقمان : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّه ، وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ نراه يذكر من شأن لقمان ما يتعلق بنسبه ، وأنه كان قاضياً فى بنى إسرائيل ، أو كان نبياً ، وهل كان حراً ، أو عبداً حبشياً غليظ الشفتين مصفح القدمين ؟ أو نوبياً مشقق الرجلين ذا مشافر ؟ وأنه كان خياطاً أو راعياً ، إلى غير ذلك من الأخبار التى رواها الآلوسى عن بعض مَن نُسِبَت إليه من السَلَف ، ثم يُعَقِّب عليها بقوله :

« ولا وثوق لى بشىء من هذه الأخبار » ويعتذر عن ذكرها رغم أنه لا يثق بها بقوله : « وإنما نقلتها تأسياً بمن نقلها من المفسرين الأخيار ، غير أنى أختار أنه كان رجلاً صالحاً حكيماً ولم يكن نبياً »[٢] .

---

(١) تفسير الآلوسى جـ ٢ ص ٢١

(٢) تفسير الآلوسى جـ ٢١ ص ٧٤

وليت الآلوسى لم يلتفت إلى إشباع شهوة المنهومين بسماع الإسرائيليات . وليته لم يتأس بمن شُغِفَ من المفسرين بروايتها ولو كانوا من الأخيار ، ليته استقام على هذه الطريقة إذن لكان قد أراحنا من هراء كثير كان يكفى أن يشير إليه عند ما يقصد إلى الرد عليه .

ومهما يكن من شيء فتفسير الآلوسى يعتبر - بحق - من خير التفاسير التى تصدت للإسرائيليات ببيان زيفها وفسادها ، فجزى اللّٰه أبا الثناء عن القرآن والسُنَّة والإسلام خيراً .

* * *

٦ - ومن كتب التفسير التى حملت على المفسرين الذين أغرموا بالإسرائيليات حملة شعواء وتطرف أصحابها فتناولوا من تُنسب إليهم - ولو ادعاء - من الصحابة - أو التابعين بما لا يتفق وكرامتهم على اللّٰه وعلى الناس ، ثم هم على رغم ذلك يقعون فيما عابوه على غيرهم فيتورطون فى رواية الإسرائيليات تورطاً بليغاً .. من هذه الكتب :

تفسير السيد محمد رشيد رضا[١]

المسمى « تفسير القرآن الحكيم »

وشهرته « تفسير المنار »

وصاحب هذا التفسير أشد المفسرين إنكاراً للإسرائيليات ، وأعنفهم على مَن خُدعوا بها وروَّجوا لها ، ولكنه - كما أشرنا إليه سابقاً - يأخذه الحماس أحياناً

---

(١) وُلِدَ فى سنة ١٢٨٢ هـ وتوفى فى سنة ١٣٥٤ هـ . وقد وصل الشيخ رشيد فى تفسيره إلى قوله تعالى فى الآية (١٠١) من سورة يوسف : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ وقد طُبِعَ تفسير المنار فى اثنى عشر جزءاً ، تنتهى عند مبدأ قوله تعالى فى الآية (٥٣) من سورة يوسف : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقد أتم تفسير سورة يوسف الأستاذ بهجت البيطار وطبع تفسير السورة بتمامها فى كتاب مستقل .

إلى حد النيل من بعض مَن تُنسب لهم هذه الإسرائيليات إن صدقاً وإن كذباً ، وربما كان مَن تُنسب إليه صحابياً جليلاً ، أو تابعياً مأموناً ، ومع ذلك فلا صحبة الصحابى تحميه من غمزات الشيخ سامحه اللّه ، ولا عدالة التابعى تحول دون نيله منه وطعنه عليه !! ..

وإذا نحن رجعنا إلى تفسير المنار ، وجدناه أحياناً يضرب صفحاً عن ذكر الإسرائيليات ويكتفى بالإشارة إليها وبيان بطلانها ، فمن ذلك - مثلاً - أنه عندما عرض لتفسير قوله تعالى فى الآية (٦٩) من سورة الأعراف : ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً ، فَاذْكُرُواْ آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ نجدُه يفسر قوله : ﴿ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾ بأنه زَادهَم فى المخلوقَات بسطة وسعة فى المُلك والحضارة ، أو بسطة فى خلق أبدانهم ، إذ كانوا طوال الأجسام ، أقوياء الأبدان ... ثم يقول : « وفى التفسير المأثور روايات إسرائيلية الأصل ، فى المبالغة فى طولهم وقوتهم ، لا يُعتمد عليها ، ولا يُحتج بشىء منها »[١] .

ومن ذلك أيضاً أنه لما عرض لقصة نوح فى سورة هود قال : « وأما ما حشا المفسرون به تفاسيرهم من الروايات فى هذه القصة وغيرها عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، فلا يُعتقد بشىء منه ، ولم يُرفع شىء منه إلى النبى ﷺ بسند صحيح ولا حسن ، وأمثل ما رُوِىَ فيه حديث عائشة فى صنع السفينة ، وأم الولد الكافر الذى رفعته لينجو فغرق معها ، وهو ضعيف كما تقدم . وأنكر منه ما رواه ابن جرير عن ابن عباس عن إحياء عيسى عليه السلام بطلب الحواريين لحام ابن نوح وتحديثه إياهم عن السفينة فى طولها ، وعرضها ، وارتفاعها ، وطبقاتها وما فى كل منها ، ودخول الشيطان فيها بحيلة احتال بها على نوح ، ومن ولادة خنزير وخنزيرة من ذنب الفيل ، وسنور وسنورة - قط وقطة - من منخر الأسد ، وكل ذلك من الأباطيل الإسرائيلية المنفرة عن الإسلام ، وقد رواه

---

(١) تفسير المنار جـ ٨ ص ٤٩٨

من طريق علي بن زيد بن جدعان ، وقد ضعفه الأئمة ، كأحمد ويحيى وغيرهم ، وقال ابن عدى : كان يغلو في التشيع ومع ذلك يُكتب حديثه . أقول : وحسبهم هذه الرواية حجة عليه »[1] .

وأحياناً نجد صاحب تفسير المنار يذكر الروايات الإسرائيلية التى تناقلها المفسرون ، ثم يقارنها بما فى التوراة متخذاً من ذلك دليلاً على كذبها ، كأنما التوراة عنده هى الأصل المعتمد ، أو القياس الذى تُقاس عليه روايات المفسرين المسلمين ، فما وافقها فهو حق ، وما خالفها فهوباطل !!

فمن ذلك مثلاً أنه عندما فسر قوله تعالى فى الآية (٢٢) من سورة المائدة : ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ نراه يقول : « أما ما رُوِىَ فى التفسير المأثور من وصف هؤلاء الجبَّارين فأكثره من الإسرائيليات الخرافية التى كان يبثها اليهود فى المسلمين فرووها من غير عزو إليهم كقولهم : إن العيون الإثنى عشر الذين بعثهم موسى إلى ما وراء الأردن ليتجسسوا ويخبروه بحال تلك الأرض ومَن فيها قبل أن يدخلها قومه ، رآهم أحد الجبارين فوضعهم كلهم فى كسائه أو فى حُجزته ، وفى رواية : كان أحدهم يجنى الفاكهة ، فكان كلما أصاب واحداً من هؤلاء العيون وضعه فى كمه مع الفاكهة ، وفى رواية : أن سبعين رجلاً من قوم موسى استظلوا فى خف رجل من هؤلاء العماليق ، وأمثل ما رُوِىَ فى ذلك وأصدقه : قول قتادة عند عبد الرزاق وعبد بن حميد فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : هم أطول منا أجساماً وأشد قوة . وأفرطوا فى وصف فاكهتهم كما أفرطوا فى وصفهم ، فروى ابن جرير عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ [2] الذى نفسره : أرسلهم موسى إلى الجبَّارين فوجدوهم يدخل فى كُمِّ أحدهم اثنان منكم ، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفس بينهم فى خشبة ، ويدخل فى شطر الرمانة إذا نُزِعَ حبها خمسة أنفس أو أربعة » ثم يقول :

---

(١) تفسير المنار جـ ١٢ ص ١٠٤ - ١٠٥　　　(٢) المائدة : ١٢

« وهذه القصة مبسوطة فى الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سِفر العدد الذى هو السِفر الرابع من أسفار التوراة ، وفى أولهما : إن الجواسيس تجسسوا أرض كنعان كما أُمِروا ، وأنهم قطعوا فى عودتهم زرجونة [1] فيها عنقود عنب واحد ، حملوه بعتلة بين اثنين منهم مع شيء من الرمان والتين ، وقالوا لموسى وهو فى ملأ بنى إسرائيل : قد صرنا إلى الأرض التى بُعثنا إليها فإذا هى بالحقيقة تدر لبناً وعسلاً ، وهذا ثمرها ، غير أن الشعب الساكنين فيها أقوياء ، والمدن حصينة عظيمة جداً ، ورأينا ثَمَّ أيضاً بنى عناق - إلى أن قال الكاتب - وكان كالب يُسكت الشعب عن موسى قائلاً : نصعد ونرث الأرض فإنَّا قادرون عليها . وأما القوم الذين صعدوا معه - أى للتجسس - فقالوا : لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا ، وشنَّعوا عند بنى إسرائيل على الأرض التى تجسسوها وقالوا : هى أرض تأكل أهلها ، وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها طوال القامات ، وقد رأينا ثَمَّ من الجبابرة جبابرة بنى عناق ، فصرنا فى عيوننا كالجراد ، وكذلك كنا فى عيونهم » . ومضى صاحب المنار فى نقل بعض أخبارهم من التوراة ثم قال :

« فأنت ترى أنه ليس فى الرواية المعتمدة عند بنى إسرائيل تلك الخرافات التى بثوها بين المسلمين فى العصر الأول ، وإنما فيها من المبالغة : أنهم لخوفهم ورعبهم من الجبَّارين احتقروا أنفسهم حتى رأوها كالجراد ، واعتقدوا أن الجبَّارين ، رأوهم كذلك ، وأما حمل زرجون العنب والفاكهة بين رجلين فلا يدل على مبالغة كبيرة فى عظمها ، وقد يكون سبب ذلك حفظها لطول المسافة » ا . هـ [2] .

ولست أرى وجهاً للمقارنة بين ما ذكره المفسرون وما نقله عن التوراة ، فالتوراة دخلها التحريف والتبديل ، فالاحتكام إليها غير صحيح ، ثم لِمَ يُهَوِّن الشيخ من مبالغات التوراة وما فيها قريب مما كُتِبَ فى التفسير ؟ الحق إن هذا مسلك ما كان للشيخ - رحمه الله - أن يسلكه .

(١) الزرجون - بالتحريك : الكرم . ويطلق أيضاً على الخمر ، والأول هو المراد .

(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٣١ - ٣٣٢

وعند تفسيره للآيات الواردة فى قصة آدم عليه السلام من سورة الأعراف يقول ما نصه :

« ومَن أراد الإسرائيليات فليرجع إلى المتفق عليه عند أهل الكتاب ليعلم الفرق بين ما عندنا وما عندهم ، بأن يراجع هنا سائر ما ورد فى القصة بعد الذى نشرناه منها فى سِفر التكوين دون غيره مما لا يُعرف له أصل عندهم ، هو فى الفصل الثالث منه » ... ثم يسوق الشيخ ملخص ما فى سِفر التكوين ، ثم يقول :

« إذا علمت هذا فلا يغرنك شىء مما يُرْوَى فى التفسير المأثور فى تفصيل هذه القصة ، فأكثره لا يصح ، وهو أيضاً مأخوذ من تلك الإسرائيليات المأخوذة عن زنادقة اليهود الذين دخلوا فى الإسلام للكيد له ، وكذلك الذين لم يدخلوا فيه »[1] .

وواضح كل الوضوح أنه يريد أن يقول : إن ما فى كتب التفسير من الإسرائيليات كذب لمخالفته لسِفر التكوين وهو الأصل المعتمد عند اليهود ، أما ما فى كتب التفسير فإنه يرجع إلى مصادر أخرى لا يُعرف لها أصل عندهم ، وإنما هى من وضع زنادقتهم .

وما لنا ولكون التوراة معتمدة عند أهل الكتاب ؟ المهم أن تكون معتمدة عندنا حتى تكون حجة على ما سواها من المذكور فى التفسير ، وذلك لا يقول به مسلم ، فكيف إذن تصح المقارنة ؟

وعجيب كل العجب أن الشيخ - رحمه الله - يقرر فى أكثر من موضع فى تفسيره مثل هذا ، ثم يناقض نفسه فيقول عن سِفر التكوين تحت عنوان « سِفر التكوين ليس من التوراة » ما نصه :

« وسِفر التكوين هذا ليس حجة قطعية فيما ذُكِرَ فيه ، فضلاً عما سُكِتَ عنه ، فإن التوراة التى كتبها موسى عليه السلام ووضعها بجانب تابوت العهد

(١) تفسير المنار جـ ٨ ص ٣٥٥ - ٣٥٦

- كما ذُكِرَ فى سِفر التثنية - قد فُقِدَت هى والتابوت بحريق الهيكل ، وهذه الأسفار المعتمدة عند اليهود قد كُتِبَت كلها بعد الرجوع من سبى بابل فى سنة ٥٣٦ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، ويقولون : إن عزرا هو الذى كتبها وجمعها ، وليس لها سند متصل إليه ، دع اتصالها بما قبله ، وقد اشتهر أن الأستاذ « جبر ضومط » مدرس البلاغة فى الجامعة الأمريكانية ببيروت ألَّف رسالة رجَّح فيها أن سِفر التكوين مأثور عن يوسف عليه السلام ، ولما نطلع عليه . وجملة القول : إنه ليس له سند إلى مَن كتبه ، ولا يقوم دليل على أنه وحى من اللّه تعالى ، ولكنه على كل حال أثر تاريخى له قيمته » [١] .

وأعجب العجب أن نرى صاحب المنار - وهذا رأيه فى سِفر التكوين وفى التوراة - يقرر أن بعض ما فى التوراة يصلح تفسيراً لبعض النصوص القرآنية ، وذلك فى أكثر من موضع ..

فمثلاً عندما فسَّر قوله تعالى فى الآية (١٣٣) من سورة الأعراف : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ نراه يذكر الروايات التى أوردها بعض المفسرين فى شأن الطوفان ، ثم يُعَقِّب عليها ببيان بطلانها ، ثم يقول :

« وأولى الآثار بالقبول قول ابن عباس الأول الموافق للمتبادَر من اللُغة : أى طوفان المطر ، وما عدا ذلك فمن الإسرائيليات ، وأولاها بالقبول ما لا يخالف القرآن من أسفار التوراة نفسها وهو ما ننقله عنها » ... ثم ساق الشيخ رشيد ما جاء فى شأن الطوفان فى الفصل التاسع من سفر الخروج [٢] ، وفيه من الأخبار الإسرائيلية ما لا يقوم دليل على صحته مما بأيدينا من القرآن والسُنَّة .

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين (٨٨ - ٨٩) من سورة يونس عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ

---

(١) تفسير المنار جـ ١٢ ص ١٠٤

(٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ٩٠

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرُواْ العَذَابَ الأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعانِّ سَبِيلِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ نراه يُفَسِّر قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ فيقول : « المعنى هنا : ربنا امحق أموالهم بالآفات التى تصيب حرثهم وأنعامهم وتُنقص مكاسبهم وثمراتهم وغلاَّتهم فيذوقوا ذل الحاجة ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أى اطبع عليها وزدها قساوة وإصراراً وعناداً حتى يستحقوا تعجيل عقابك فتعاقبهم » ... ويمضى صاحب المنار فى تفسير الآيتين ثم يُنهى تفسيره لهما بقوله :

« هذا .. وإن فى قصة موسى وفرعون فى سِفر الخروج ما يُفَسِّر استجابة هذا الدعاء بما يوافق ما قلناه هنا من إرسال النوازل على مصر وأهلها ، ولجوء فرعون وآله إلى موسى عند كل نازلة منها ليدعو ربه فيكشفها عنهم فيؤمنوا به ، حتى إذا ما كشفها قسَّىٰ الرب قلب فرعون فأصر على كفره ، وقد فصلنا هذا فى تفسير قوله (٧ : ١٣٣ - ١٣٥) من سورة الأعراف ، ومنه تعلم أن كل ما خالفها من أقوال المفسرين فى معنى الطمس على أموالهم فهو من أباطيل الروايات الإسرائيلية التى كان من مقاصد كعب الأحبار وأمثاله منها - كما نرى - صد اليهود عن الإسلام بما يرونه فى تفسير المسلمين للقرآن مخالفاً لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين فى وقائع عملية وأمور حِسِّية »(١)

وعند تفسيره لأول قصة يوسف عليه السلام فى الآيات من أول السورة إلى قوله : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ الآية (١٨) نجده ينهى تفسيره للآيات بقوله :

« وهذا هو الفصل الأول من قصة يوسف ، وهو صفوة الحق بما فيه من الدقة والعبرة . وقد شوَّهه رواة الأساطير والمفتريات الإسرائيلية بما ظنوا أنه من أخبار التوراة وما هو منها ، ومَن شاء فليقرأ هذا الفصل من قصة يوسف فى سِفر

---

(١) تفسير المنار جـ ١١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤

التكوين ليرى الفرق البعيد بين كلام اللّه - يعنى ما فى سِفر التكوين الذى قال عنه إنه لا يُوثَق به - وكلام البشر ، وليعلم المغرور بما نقله المفسرون من الإسرائيليات منها كالسدى الكبير الذى هو أقل كذباً وأكثر اتقاناً لأساطيره من السدى الصغير ، أن كل ما فيها من الزيادة لا أصل لها عند أهل الكتاب ، ولا هو مروى عن نبينا ﷺ ، فهو كذب صراح » ... ثم يقول بعد ذلك مباشرة : « الفصل أو الإصحاح ٣٧ من سِفر التكوين » ويسوق ما جاء فيه بطوله وبكل ما فيه من غرائب كشاهد على كَذب ما فى كتب التفسير من أخبار هذه القصة [١] .

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٠) من سورة يوسف عليه السلام : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ يقول ما نصه :

« وأما الثمن البخس الذى بيع به ، ففى سِفر التكوين أنه كان عشرين شاقلاً من الفضة ، وقدَّر علماء التاريخ القديم الشاقل بخمسة عشر جراماً من الوزن العشرى اللاتينى المعروف فى عصرنا ، فيكون ثمنه ٣٠٠ جرام من الفضة ، وهى تقرب من ٩٤ درهماً من دراهمنا اليوم . وعن ابن مسعود رضى اللّه عنه : إنه عشرون درهماً ، ولعله سمعه من اليهود فظن أن العشرين عندهم هى الدراهم عند العرب » [٢] .

هكذا يفسر الشيخ من غير تحرج الثمن البخس بما جاء فى سِفر التكوين الذى قال عنه : إنه ليس حجة ، وعلى ما جاء فى سِفر التكوين يصحح ما نُقلَ عن ابن مسعود ، وهذا مسلك ما كان يحسن بالشيخ أن يسلكه فى تفسيره لكتاب اللّه وهو الذى عاب غيره من رواة الإسرائيليات وسلقهم بلسانه الحاد ، وفيهم مَن كان أسلم منه مأخذاً وأقل نقلاً !!

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٩٩) من سورة يوسف عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ نراه يُفَسِّر الآية ثم يُنهى تفسيرها بقوله :

---

(١) تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٧٩

« وفى سِفر التكوين : أن يوسف عليه السلام عَرَّف نفسه إلى إخوته عقب مجيئهم ببنيامين شقيقه ، وأرسلهم لاستحضار أبيهم وأهلهم ، فجاءوا فأقطعهم أرض جاسان - وهى المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبى زعبل إلى البحر الأحمر - وأرسل إليهم العربات لتحملهم ، وأحمال الغذاء والثياب على الحمير .

فلما وصلوا إليها شد يوسف على مركبته ، وصعد ليلاقى إسرائيل أباه فى جاسان ، فلما ظهر له ألقى بنفسه على عنقه وبكى على عنقه طويلاً ، ثم استأذنهم ليذهب إلى فرعون ويخبره بمجيئهم ومكانهم ليقرهم عليه ، لأنهم رعاة وأرض جاسان خصبة ، ففعل ، ثم أخذ وفداً منهم لمقابلة فرعون ، وأدخل أباه عليه فبارك فرعون ، فيظهر أن هذا اللّقاء كان الأول لهم ، ثم إنه بعد لقاء فرعون قال : ﴿ ادْخُلُواْ مِصْرَ .. ﴾ إلخ ، ثم عاد بهم إلى قصره الخاص »[1].

هكذا بكل بساطة وتساهل ينقل الشيخ من سِفر التكوين ما ينقل ، وفى تسليم ظاهر لما نقل يقول : « ويظهر أن هذا اللّقاء كان الأول لهم ، ثم إنه بعد لقاء فرعون قال لهم : ادخلوا مصر إن شاء اللّه آمنين » وأرجو أن لا يكون الشيخ أراد بالأمن فى الآية تأمين فرعون لهم حينما وفدوا عليه فأقرهم على أرض جاسان كما فى سِفر التكوين .

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٣٨) من سورة الأعراف : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ، قَالُواْ يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ، نراه يُفَسِّر قوله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ فيقول ما نصه :

« إنهم تجاوزوه بعنايته سبحانه وتأييده إياهم بفلق البحر وتيسير الأمر حتى كأنه معهم بذاته فجاوزوه مصاحباً لهم . أو المعنى : أننا أيدناهم ببعض ملائكتنا فجاوز بهم البحر بأمرنا ، فمن المعهود فى اللُّغة أن يُنسب إلى الملوك

---

(١) تفسير سورة يوسف ، للشيخ رشيد رضا ص ١٢٧ - ١٢٨ ط . المنار .

ورؤساء القوّاد ما ينفذه بعض أتباعهم بأمرهم ، وما يقع بجاههم وقوة سلطانهم ، ويجوز الجمع بين المعنيين » .. ثم ذهب الشيخ يستشهد على صحة إرادة كلا المعنيين بما جاء فى سِفر الخروج ، فقال مستدلاً على إرادة المعنى الأول :

« وفى آخر الفصل الثالث عشر من سِفر الخروج ذكر خبر ارتحال بنى إسرائيل وقال : « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود من الغمام ليهديهم الطريق ، وليلاً فى عمود من نار ليضىء لهم ليسيروا نهاراً وليلاً ، ولم يبرح عمود الغمام نهاراً ، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب » .

ثم قال مستدلاً على إرادة المعنى الثانى :

« ثم جاء فى الفصل الرابع عشر منه - يعنى من سِفر الخروج - بعد ذكر أتباع فرعون ومَن معه من بنى إسرائيل :

« فانتقل ملاك اللّه السائر أمام عسكر بنى إسرائيل فصار وراءهم ، وانتقل عمود الغمام من أمامهم فوقف وراءهم ودخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل ، فكان من هنا غماماً مظلماً ، وكان من هناك ينير اللّيل ، فلم يقترب أحد من الفريقين طول اللّيل » .

ثم بعد ما ساق هذين النقلين عن سِفر الخروج قال :

« وهذا بعض ما جاء فى التوراة مما يصح أن يكون تفسيراً لقوله تعالى فى القرآن : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ (١) .

وغريب من صاحب المنار بعد ما انزلق فى تفسيره إلى رواية ما فى أسفار التوراة - وهى لا يُوثَق بها - وجعلها تفسيراً لبعض آيات القرآن الكريم ، أن نراه يرد بعض الأحاديث الصحيحة ، ويزعم أنها من قبيل الإسرائيليات رغم أنها لا تصادم عقلاً ولا نقلاً !!

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٦٢) من سورة الأعراف : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ نجده يقول :

---

(١) تفسير المنار جـ ٩ ص ١٠٧

« ولا ثقة لنا فى شىء مما رُوِىَ فى هذا التبديل من ألفاظ عبرانية ولا عربية فكله من الإسرائيليات الوضعية - كما قال الأستاذ الإمام هنالك [١] - وإن خرج بعضه فى الصحيح والسُنَن موقوفاً ومرفوعاً ، كحديث أبى هريرة المرفوع فى الصحيحين وغيرهما : « قيل لبنى إسرائيل : ادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حطَّة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : حنطة ، حبة فى شعرة » - وفى رواية : فى شعيرة - رواه البخارى فى تفسير السورتين [٢] من طريق همام بن منبه أخى وهب ، وهما صاحبا الغرائب فى الإسرائيليات ، ولم يصرح أبو هريرة بسماع هذا من النبى ﷺ ، فيحتمل أنه سمعه من كعب الأحبار إذ ثبت أنه روى عنه »[٣].

ولست أدرى كيف ساغ للشيخ رشيد أن يرد حديثاً صحيحاً ورد فى موضعين من صحيح البخارى ، وورد فى غير البخارى من الكتب المعتمدة ؟ ألا يبلغ تفسير الرسول ﷺ للآية مبلغ أسفار التوراة التى يُفَسِّر بها الشيخ كلام الله ؟!!

والعجب بعد هذا أن يقول : إن أبا هريرة لم يُصَرِّح بالسماع من النبى ﷺ ، فيحتمل أنه سمعه من كعب الأحبار لأنه كان يروى عنه !! .. لقد جاء الحديث فى تفسير سورة البقرة عند البخارى بلفظ : « عن رسول الله ﷺ » ، وجاء فى تفسير سورة الأعراف عند البخارى أيضاً بلفظ : « قال رسول الله ﷺ » وهذا صريح فى رفعه الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وأبو هريرة لم يكن مدلساً حتى نقول عنه إن عنعنته أو ما فى معناها قادحة فى صحة الحديث .

ثم لِمَ يستبيح الشيخ لنفسه أن يحشو تفسيره بإسرائيليات أسفار التوراة ، وينكر فى عنف وغلظة على المفسرين الذى حشوا تفاسيرهم بالإسرائيليات ؟ لأن

---

(١) يقصد ما ذكره فى الجزء الأول من تفسير المنار ص ٣٢٤ - ٣٢٥ عند تفسيره للآية ٥٩ من سورة البقرة .

(٢) يقصد سورة البقرة وسورة الأعراف ، ففى سورة البقرة : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (الآية : ٥٩) ، وفى سورة الأعراف : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الآية : ١٦٢) .

(٣) تفسير المنار جـ ٩ ص ٣٧٣

إسرائيلياته من التوراة وإسرائيلياتهم من وضع زنادقة اليهود كما يقول ؟ !! .. هذه وتلك إسرائيليات لا نثق بها ولا نطمئن إليها ، وكان أولى بالشيخ - رحمه اللّه - أن يمسك عنها بالكلية ولا يُسَوِّد بها صفحات كتابه .

وكان أولى به - وقد أدلى بدلوه فى الدلاء - أن يكف لسانه عن الطعن فى رجال لهم مكانتهم فى الدين من أجل ما نُسبَ إليهم من روايات إسرائيلية قد تكون نسبتها إليهم فى واقع الأمر كذباً وزوراً .

كان الأولى بالشيخ - سامحه اللّه - ألا يرمى صحابة رسول اللّه ﷺ بالغفلة حيث يقول عن الإسرائيليات إنها سرت إلى المسلمين من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب ، وإنها خرافات ومفتريات صدَّقهم فيها الرواة حتى بعض الصحابة رضى اللّه عنهم [1] .

وكان الأولى به أن لا يقول قولة سوء فى كعب الأحبار ووهب بن منبه وقد عرفنا عنهما سلامة الدين وحسن الطَّوِيّة !

كنا نود من الشيخ - وقد وثَّق الجمهور كعباً ووهباً - أن يظن بهما خيراً فيرى - كما رأى غيره - أن ما نُسِبَ إليهما من أباطيل الإسرائيليات كان كذباً وغِشاً ممن أرادوا أن يروجوا هذه الإسرائيليات ، والشيخ نفسه يقول فى تعقيبه على رواية إسرائيلية نُسِبَت إلى كعب : « وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب وإن كنت أخالف الجمهور فى مسألة تعديله » [2] فإذا كان هذا الظن قائماً عنده رغم تجريحه له ، فلِمَ لا يكون هذا هو الظن به دائماً وبأمثاله ممن شهد لهم الجمهور بالعدالة ؟

رأينا الشيخ - رحمه اللّه - عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٨٧) من سورة الأعراف : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا .. ﴾ ... الآية ، يتكلم عن أشراط الساعة وأماراتها وما يتصل بها من مشكلات - على حد تعبيره - ومن هذه المشكلات التى تناولها مشكلة الروايات الواردة فى شأن

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٨ — (٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ١٩٠ .

الدجال وقد ذكر منها رواية عن كعب الأحبار وناقشها وانتهى منها بحكمه القاسى على كعب فقال : « إن يد بطل الإسرائيليات الأكبر - كعب الأحبار - قد لعبت لعبها فى مسألة الدجال « فى كل واد أثر من ثعلبة » [(١)] .

ثم ساق الشيخ رواية أخرى عن كعب فى شأن الدجال ، أنهاها بحكم أقسى على كعب من حكمه السابق فقال : « بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسُنَتهم ، وخُدِعَ به الناس لإظهاره التقوى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » [(٢)] .

يالله لكعب المظلوم !!

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٠٧) من سورة الأعراف : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ رأيناه يقول :

« وفى تفسير المأثور روايات فى صفة الثعبان الذى تحوّلت إليه عصا موسى عليه السلام ، وفى تأثيره لدى فرعون ، ما هى إلا من الإسرائيليات التى لا يصح لها سند ولا يوثق بشىء منها » ثم يسوق رواية عن وهب بن منبه :

« إن العصا لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً ، قتل بعضهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً » . ثم يذكر تضعيف ابن كثير لهذه القصة ، ثم يقول :

« وقد اقتصرتُ على هذه الرواية لأقول : إننى أرجح تضعيف عمرو بن الفلاَّس لوهب على توثيق الجمهور له ، أنا أسوأ فيه ظناً على ما رُوِيَ من كثرة عبادته ، ويغلب على ظنى أنه كان له ضلع مع قومه الفُرس الذين كانوا يكيدون للإسلام وللعرب ، ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع ، فقد ذكر الإمام أحمد : أن والده منبهاً فارسى ، أخرجه كسرى إلى اليمن فأسلم فى زمن النبى ﷺ ، وأن ابنه وهباً كان يختلف من بعده إلى بلاده بعد فتحها ، وههنا موضع الشبهة فى الغرائب المروية عنه وهى كثيرة ، ومثله عندى كعب الأحبار

---

(١) تفسير المنار جـ ٩ ص ٤٩٨

(٢) المرجع السابق

الإسرائيلى ، كلاهما كان تابعياً كثير الرواية للغرائب التى لا يُعرف لها أصل معقول ولا منقول ، وقومهما كانوا يكيدون للأُمة الإسلامية العربية التى فتحت بلاد الفرس وأجلت اليهود من الحجاز ، فقاتِلُ الخليفة الثانى فارسى مرسل من جمعية سرية لقومه ، وقتلة الخليفة الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبد اللّه بن سبأ اليهودى ، وإلى جمعية السبئيين وجمعيات الفُرس ترجع جميع الفتن السياسية وأكاذيب الرواة فى صدر الإسلام » [١] .

وبعد ... فهذه هى أهم كتب التفسير التى كان لها فى رواية الإسرائيليات منهج متميز ، وكلها - كما رأيت - لا تخلو من إسرائيليات أقحمت على تفسير كتاب اللّه تعالى من غير حاجة إليها .

* * *

---

(١) تفسير المنار جـ ٩ ص ٤٤ ، وأقول : وإذا كان هذا رأى الشيخ فى كعب فلِمَ حَسَّن الظن به وقال عنه حينما علّق على رواية منسوبة إليه بقوله : « وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب» ؟ وإذا كان كعب مدسوساً على الإسلام والمسلمين حقاً فليكن الظن به دائماً ظن سوء .

اعتذار بعض العلماء عن المفسرين الذين أدخلوا الإسرائيليات فى تفاسيرهم

ولقد حاول بعض العلماء أن يعتذر عن المفسرين الذين أدخلوا الإسرائيليات فى تفاسيرهم :

فمن قائل : إن مثل المفسر فيما ينقله من الإسرائيليات كمثل رجل أمين أراد أن يُطلعك على كتاب مؤلَّف بغير لسانك فترجمه إلى لغة تفهمها لتعرف ما فيه إن صدقاً وإن كذباً ، والصدق والكذب يضاف إلى الكتاب لا إلى الناقل (١).

وقريب من هذا قول مَن قال : إن مثل المفسر فيما يجمع من الإسرائيليات كمثل رجل النيابة ، يجمع كل ما يمكن أن يصل إليه من الأدلة ، قويها وضعيفها ، ليضعها أمام القضاء فيختار القاضى القوى منها ويترك الضعيف (٢) .

وقائل آخر يقول معتذراً عنهم : « إنهم دوّنوا ما يظنون به أن له نفعاً لتبيين بعض النواحى فى أنباء القرآن الحكيم من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود وغيرهم ، تاركين أمر غربلتها لمن بعدهم من النُقّاد ، حرصاً على إيصال تلك المعارف لمن بعدهم ، لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة فى إيضاح بعض ما أُجْمِلَ من الأنباء فى الكتاب الكريم ، لا لتكون تلك الروايات حقائق فى نظر المسلمين يُراد اعتقاد صحتها والأخذ بها على علاّتها بدون تمحيص ، فلا تثريب على مَن دوّن الإسرائيليات ما دام قصده هكذا » (٣) .

ولقد اعتذر من قبل هؤلاء سليمان بن عبد القوى الطوفى عن المفسرين الذين حشوا تفاسيرهم بالإسرائيليات بحمل قصدهم على ذلك الذى ذكرناه أخيراً وضرب لذلك مثلاً بصنيع رواة الحديث ، حيث عنوا بادىء ذى بدء بجمع

---

(١) الحديث والمحدثون للأستاذ الشيخ محمد أبو زهو ص ١٧٨

(٢) من مقال للأستاذ محب الدين الخطيب .

(٣) مقالات الكوثرى ، ص ٣٤ ، ط . الأنوار .

الروايات كلها ، تاركين أمر التمييز بين صحاحها وضعافها لمن بعدهم من النُقَّاد [1] .

● الاعتذارات غير مقبولة :

وظاهر أن كل هذه الاعتذارات إنما تنفع لو كان كل المفسرين قد التزموا رواية الإسرائيليات بأسانيدها ، وكان كل مَن ينظر فيها صالحاً للنقد والتمحيص ، أما وأن أكثر من رووا الإسرائيليات قد حذفوا أسانيدها ، وأكثر مَن ينظرون فى هذه التفاسير ليسوا ناقدين ولا قدرة لهم على التمحيص ، أما والأمر كذلك ، فلست أرى إلا أن هؤلاء الذين حشوا تفاسيرهم بالإسرائيليات قد وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بتفسير القرآن الكريم والراغبين فى الوقوف على معانيه .

وإذا كان سائغاً من ابن جرير الطبرى أن يعتذر عما أورده فى تاريخه من الإسرائيليات بقوله : « فما يكون فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قِبَلِنا ، وإنما أُتِىَ من قِبَلِ بعض ناقليه إلينا ، وإنَّا إنما أديناه على نحو ما أُدِىَ إلينا » [2] .

إذا كان سائغاً أن يعتذر الطبرى بذلك عما أورده فى تاريخه من إسرائيليات مستنكرة مستشنعة . فلا أراه سائغاً أن يعتذر بمثل هذا عما أورده من ذلك فى تفسيره وإن أسنده ، لأن تفسير كتاب اللّه يجب أن يُجَنَّب كل مُستنْكَر مُستشْنَع.

وإذا كان التاريخ يتحمل مثل هذه الإسرائيليات فكتاب اللّه لا يتحملها ، ولا يجوز لأحد أن يُحَمِّله إياها .

وإذا كان ابن كثير قد استباح أن يروى من الإسرائيليات فى تاريخه ما يحتمل الصدق والكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد فى شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه لنا ، فيذكره – كما يقول – على سبيل التحلى به لا على

---

(١) مقالات الكوثرى ، ص ٣٤ ، ط . الأنوار .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ١ ص ٨ ، ط . دار المعارف .

سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه [1] ... إذا كان ابن كثير قد استباح رواية مثل ذلك فى تاريخه ، فما كان له أن يستبيح روايته فى تفسيره غافلاً عن نقده أحياناً وهو الناقد البصير ، وصاحب الحملات العنيفة على رواة المناكير والأساطير ، وهو القائل فى تفسيره : « وقد أكثر كثير من السَلَف من المفسرين ، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب فى تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنّة » [2] .

كان أولى بابن كثير أن يعزف كل العزوف عن رواية الإسرائيليات فلا يذكر شيئاً منها على ما فيه من زيف وفساد ، كما هو شأنه فى الأعم الأغلب ، ولكنه الكمال الذى لا يُدْرَك .

* * *

ثانياً - الإسرائيليات فى كتب الحديث :

بقى أن نقول : إن كتب الحديث على اختلاف عصورها قد حوى بعضها من أباطيل الإسرائيليات شيئاً كثيراً ، وكذلك بعض كتب المواعظ التى تقوم على أحاديث الرقاق ، ومن ذلك مسند الفردوس للديلمى ، ونوادر الأصول للحكيم الترمذى ، وكتاب العظمة لأبى الشيخ ... وغالب ما فى هذه الكتب مبثوث فى كتب التفسير المولع أصحابها برواية الإسرائيليات ، ولا حاجة بنا إلى أن نعرض لهذه الكتب ، لأن قيمتها العلمية معروفة ، وقد كفانا سَلَفنا من المحدِّثين مهمة ذلك ببيان درجة كل كتاب من كتب الحديث : ما التزم الصحيح منها ، وما جمع بين الصحيح والضعيف ، وما ضم إلى الصحيح والضعيف رواية الموضوعات والمناكير ، وكان عملهم هذا رحمة للأمة ، وهداية إلى مصادر الحق والصدق من حديث رسول الله ﷺ ، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

* * *

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ، جـ ١ ص ٦ ط . السعادة .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢١

خاتمة

بيان ما يجب أن يلتزم به مَن يُفَسِّر كتاب الله تعالى بالنسبة للروايات الإسرائيلية ، وما يجب أن يقوم به العلماء من تنقية كتب التفسير

أما ما يجب أن يلتزم به مَن يُفَسِّر كتاب الله تعالى بالنسبة للروايات الإسرائيلية فأمور نجملها فيما يلى :

١ - على المفسِّر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة ، وناقداً إلى غاية ما يصل إليه النُقَّاد من دقة ورويَّة حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن الكريم ويتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم .

٢ - لا يجوز للمفسِّر - بحال من الأحوال - أن يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان فى سُنَّة نبينا ﷺ بيان لمجمل القرآن ، أو تعيين لمبهمه . فمثلاً حيث وجد لقوله فى الآية (٣٤) من سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ، محمل فى السُنَّة النبوية وهى قصة ترك « إن شاء الله » والمؤاخذة عليه ، فلا يلتفت إلى قصة صخر المارد [١] ولا يُقحمها على كتاب الله عز وجل . ومثلاً حيث وجد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يُعَيِّن أن الذبيح هو إسماعيل فلا يجوز الذهاب إلى ما رُوِىَ عن مصادر يهودية أو إسلامية دسَّها اليهود من أنه إسحاق عليه السلام .

٣ - يجب على المفسِّر أن يراعى أن الضرورى يتقدر بقدر الحاجة ، فلا يذكر فى تفسيره شيئاً من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال ، وما يكفى أن يكون حجة على مَن خالف وعاند من أهل الكتاب .

---

(١) قد مرت قصة صخر المارد بتمامها ، وقصة ترك سليمان « إن شاء الله » .

٤ - إذا اختلف المتقدمون فى شىء من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم ، فلا مانع من نقل المفسِّر لهذه الأقوال كلها على أن يُنَبِّه على الصحيح منها ويُبطل الباطل ، وليس له أن يحكى الخلاف ويُطلقه دون تنبيه على الصحيح من الأقوال وغير الصحيح منها ، لأن مثل هذا العمل يُعَدُّ ناقصاً لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل ، ووضع أمام القارىء من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب .

وخير للمفسِّر أن يُمسك عما لا طائل تحته مما يُعَدُّ صارفاً عن القرآن الكريم ، وشاغلاً عن التدبر فى حكمه وأحكامه ، وهذا - ولا شك - أحكم وأسلم .

وقد يشير إلى ما قلناه من جواز نقل الخلاف عن المتقدمين على شريطة استيفاء الأقوال وتزييف الزائف منها وتصحيح الصحيح ، وأن من الخير أن يُمسك المفسِّر عن الخوض فيما لا طائل تحته ما جاء فى الآية (٢٢) من سورة الكهف من قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمَاً بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ، قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴾ ، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة - كما يقول ابن تيمية - على الأدب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ، ضعَّف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث فدل على صحته ، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما ، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فيقال فى مثل هذا : ﴿ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه اللّه عليه ، فلهذا قال : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً ﴾ أى لا تُجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب [١] .

ولقد وجدنا من بين العلماء المتأخرين مَن يرى أن من الخير للمفسِّر أن يعرض كل الإعراض عن رواية ما لا يجزم بصحته من الإسرائيليات ، وأن نُجنِّب كتاب

---

(١) مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير ص ٢٧ ، وانظر التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٧٩ - ١٨١

الله تعالى هذا الذى لا نعرف إن كان صدقاً أو كذباً ، ومن أبرز مَن عرفناه يرى هذا الرأى المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، فقد علّق فى كتابه « عمدة التفسير » على ما ذهب إليه ابن كثير فى تفسيره تبعاً لشيخه ابن تيمية ، من جواز حكاية ما سكت عنه شرعنا وكان محتملاً للصدق والكذب مستنداً لقوله عليه الصلاة والسلام : « حدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حَرَج » بقوله :

« إن اباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شىء ، وذكر ذلك فى تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية فى معنى الآيات ، أو فى تعيين ما لم يُعيِّن فيها ، أو فى تفصيل ما أجمل منها ، شىء آخر ، لأن فى إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذى لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبيِّن لمعنى قول الله سبحانه ، ومُفصِّل لما أجمل فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك » [1] .

وأنا أميل إلى هذا الرأى ، حماية لكتاب الله عز وجل عن لغو الحديث ، وصوناً له عن الفضول والتزيد بما لا طائل تحته ولا خير فيه .

❊ ❊ ❊

وأما ما يجب أن يقوم به العلماء من تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات ، فنقول فيه :

ليس من شك - كما بيَّنا - أن تراثنا فى التفسير على اختلاف مناهجه لا يسلم شىء منه من أباطيل الإسرائيليات وخرافاتها ، وتراثنا فى الحديث ليس أحسن حظاً من تراثنا فى التفسير ، وهذا أمر له أثره وخطره ، وعلى علماء المسلمين عامة ، وعلماء الأزهر خاصة نحو كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم واجب عظيم وجسيم ، فما هو هذا الواجب ؟

الواقع أن كتب الحديث قد تميَّز صحاحها من ضعافها ، وعرف الناس قيمة كل منها ، ويرجع الفضل فى ذلك - كما قلنا - إلى علماء الحديث الذين عملوا

---

(١) عمدة التفسير جـ ١ ص ١٥

على تنقية الحديث وتجريده من الدخيل والعليل من وقت مبكر ، والذين قيَّموا لنا كل هذه الكتب ، وحكموا عليها ، فكان من نتيجة ذلك أن تلّقى الناس الصالح منها بالقبول ، وغير الصالح منها رفضوه رفضاً باتاً ، وبجوار ذلك صنَّفوا فى الموضوعات مصنفات كثيرة قيمة فتحت عيون الناس على ما دُسَّ على حديث رسول اللّه ﷺ من أكاذيب وأباطيل .

إذن فالواجب الأهم على علماء المسلمين اليوم نحو كتب الحديث ، قد تحمَّله وأدَّاه عنهم أسلافهم من المحَدِّثين ، ولم يبق عليهم إلا واجب آخر له أهميته ، وهو إعادة طبع كتب الصحاح من الأحاديث طبعاً جيداً منسقاً ، مع حل مشكلات الأحاديث التى فيها غرابة ، والتى يظن بعض الناس أنها لا أصل لها ، كحديث مجىء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه ، ولطم موسى عليه السلام له لطمة فقأت عينه ، ورد اللّه على المَلَك عينه سليمة كما كانت [1] . وقد بدأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالجمهورية العربية المتحدة - فى طبع المصادر المعتبرة من أمهات كتب السُنَّة طبعاً منسقاً مهذباً ، ومعلَّقاً عليها تعليقات قيمة لبعض علماء الأزهر الشريف ، وقد صدر إلى الآن الجزء الأول من صحيح البخارى ، والجزء الثانى يصدر بعد أيام ، والعمل جار

---

(١) الحديث مروى فى البخارى ومسلم موقوفاً على أبى هريرة من رواية طاوس عنه . ومرفوعاً إلى النبى ﷺ من رواية همام عن أبى هريرة ، ولفظه عند مسلم من رواية همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « جاء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام فقال : أجب ربك ، قال : فلطم موسى عليه السلام عين مَلَك الموت ففقأها ، قال : فرجع الملك إلى اللّه تعالى : فقال : إنك أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عينى ، قال : فرد اللّه إليه عينه وقال : ارجع إلى عبدى فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنتَ تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت ، قال : فالآن من قريب ، رَبِّ أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال رسول اللّه ﷺ : واللّه لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » أخرجه مسلم فى باب فضائل موسى عليه السلام جـ ١٥ ص ١٢٨ ط . حجازى (نسخة عليها شرح النووى) ، وأخرجه البخارى بلفظ آخر فى كتاب الأنبياء باب « وفاة موسى عليه السلام » جـ ٤ ص ١٥٧ ط . الخيرية .

لإتمام صحيح البخارى ، ثم يكون الشروع بعده - إن شاء الله تعالى - فى غيره من كتب الصحاح [(١)]

أما كتب التفسير فقد حوت من الإسرائيليات كل عجيب وعجيبة ، واستوى فى ذلك تفاسير المتقدمين والمتأخرين ، والمتشددين والمتساهلين ، على تفاوت بينها فى ذلك قلة وكثرة كما أوضحناه سابقاً .

إذن فكل التفاسير فيها جانب الخطورة على عقول المسلمين وعقائدهم ، ولقد ضاعف من هذه الخطورة عوامل مختلفة منها :

١ - إن بعض هذه الكتب قد نالت ونال مؤلفوها شهرة علمية واسعة ، كابن جرير ، وابن كثير ، فكان بعض ما فيها مادة خصبة يستمد منها أعداء الإسلام ومَن مشى فى ركابهم طعونهم على الإسلام بوجه عام ، وعلى كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ بوجه خاص ، وحجتهم : أن هذه رواية ابن جرير العالِم الفَذّ ، ورواية ابن كثير المحَدِّث الحُجَّة !! ..

٢ - إن أكثر كتب التفسير قد حسن المسلمون ظنهم بها ، فتلقوا بالقبول كل ما فيها ، وبعضه مما يُفسد عقائدهم ، ويُشوش أفكارهم ، وعذرهم فى ذلك : أنها لا زالت تُدْرَس إلى اليوم فى الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الإسلامية ، وأن أحداً من المسلمين لم يُنَبِّه على أنها حوت : أباطيل وأضاليل ، وكل ما نبَّه العلماء عليه وحذَّروا منه تفاسير معدودة ، كتفسير مقاتل بن سليمان ، وتفسير أبى إسحاق الثعلبى ، وتفسير البغوى ، وتفسير الخازن .

وما دام المسلمون - إلا نفراً قليلاً من أهل المعرفة والدراية - مخدوعين بكتب التفسير أو بالكثير منها ، فواجب علماء المسلمين عامة ، وعلماء الأزهر خاصة ، بل أقول : واجب مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر الشريف ، وقد حوى من كل قطر إسلامى أفضل علمائه ... واجبه أن يتجرد لهذه المهمة البالغة

---

(١) كان هذا عند صدور الطبعة الأولى من الكتاب - عام ١٩٦٨ م - والآن قد تم - بحمد الله - طبع أغلب هذه الكتب وغيرها من كتب الصحاح .

الأهمية ، مهمة تجريد كتب التفسير من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ، وأرى أن هذه المهمة يمكن القيام بها على وجه من الوجوه الآتية :

١ - أن يوكل إلى كل قطر إسلامي مجموعة من كتب التفسير ليجردها علماؤه من الإسرائيليات وما حوت من الموضوعات ، كالأحاديث التى أوردها بعض المفسرين فى فضائل القران سورة سورة ، ثم تُطبع هذه التفاسير بعد تجريدها على نفقته الخاصة - حكومة أو شعباً - ، وقد يكون هذا أصعب الوجوه :

أولاً : لأن ذلك يحتاج إلى إقناع المسئولين أو المعنيين بالشئون الإسلامية فى كل قُطر بهذه الفكرة ، وبالمساهمة فيها مادياً وعلمياً .

ثانياً : لأنه يحتاج إلى وقت طويل ، وجهد ليس بالقليل .

ثالثاً : لأنه سوف يقال حتماً : إن هذه التفاسير تراث إسلامى ، فلا يجوز التصرف فيها بحذف بعض ما تحويه ، وإذا تم تجريدها من الإسرائيليات وأعيد طبعها مجردة منها فليس ذلك بقاض على ما هو موجود منها اليوم فى المكتبات العامة والخاصة ، وبهذا تبقى العلّة قائمة .

٢ - أن يوكل إلى علماء كل قُطر إسلامى مهمة التعليق على مجموعة من كتب التفسير ببيان ما فيها من إسرائيليات ، وموضوعات ، وإبطال كل ذلك ، ثم تُطبع هذه التفاسير وما عليها من تعليقات على نفقة كل قُطر - حكومة أو شعباً - وهذا الوجه - وإن أبقى تراثنا فى التفسير على ما هو عليه - تقوم فى سبيل تنفيذه نفس الصعوبات السابقة .

٣ - أن يعهد مجمع البحوث الإسلامية إلى جماعة من العلماء بكتابة تفسير للقرآن الكريم خال من الإسرائيليات والأباطيل ويعمم نشره فى جميع الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية ، وهذا عمل حسن [1] ولكنه سوف لا يمنع الناس من الرجوع إلى غيره من التفاسير القديمة .

---

(١) وقد قام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بواسطة لجان من علماء الأزهر وغيرهم بكتابة تفسير للقرآن الكريم مجرداً من الإسرائيليات والموضوعات ، وعممت نشره على العالم الإسلامى ولكنه تفسير مختصر ، يصلح للترجمة ، ولا يسد حاجة المسلمين إلى معرفة أوسع بما حواه كتابهم الخالد .

٤ - أن يعهد مجمع البحوث الإسلامية إلى لجان يكوِّنها من علمائه الأكفاء ومن غير علمائه بدراسة كل ما لدينا من كتب التفسير دراسة وافية شاملة تكشف عما فى كل كتاب من أباطيل الإسرائيليات وخرافاتها ، ومن كل دخيل على كتاب اللّه تعالى ، وتُحذِّر من تصديق ذلك وقبوله ، ثم تجمع ذلك كله فى كتاب مستقل يُنشر فى الأوساط العلمية والأوساط العامة ، وربما كان هذا الوجه أيسر الوجوه وأجداها وأكثرها احتمالاً للتنفيذ .

وقد يكون لدى غيرى رأى آخر أيسر وأجدى ، ولو أن الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية عرضت فكرة تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات وسائر الموضوعات على الهيئات العلمية الإسلامية فى كل الأقطار لتبدى كل منها رأيها فى أيسر الطرق وأجداها ، لخرجنا من وراء ذلك برأى سديد ورشيد .

وعلى مجمع البحوث الإسلامية بعد ذلك أن يُجَنِّد مَن يختار من أعضائه وغير أعضائه مَن يوكل اليهم التنفيذ ، وإذا تم ذلك - ونرجو أن يتم بإذن اللّه تعالى - يكون الأزهر الشريف - قِبْلَة العلم ومنارة الإسلام - قد أدّى أقدس واجب ، وقام بأجل عمل .

واللّه أرجو أن يوفقنا جميعاً للخير - ويهدينا إلى سَواء السبيل ، والحمد للّه رب العالَمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

* * *

محتويات الكتاب

التمهيد والمقدمة (٣ - ١٢)

الفصل الأول : فى بيان معنى الإسرائيليات ، وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ، ومدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام (١٣ - ٣٤)

الفصل الثانى : فى بيان أقسام الإسرائيليات ، وحكم روايتها ، وأشهر رواتها (٣٥ - ٩٤)

الصفحة

الصفحة